تاريخ العصور الوسطى

مدرس المادة: محمد مجيد / قسم التاريخ / كلية التربية للعلوم الانسانية / جامعة الحمدانية

عنوان المحاضرة

البرابرة وسقوط الامبراطورية في الغرب

المحاضرة الثالثة

البرابرة وسقوط الامبراطورية فى الغرب (1)

1 – روافد تاريخ أوربا فى العصور الوسطي
2 – تعريف كلمة بربرية .
3 - من هم الجرمان ؟.
4 -النظام السياسي والاجتماعي للجرمان .
5 – أهم القبائل الجرمانية , وتأثيرها على الامبراطورية الرومانية.

روافد تاريخ أوربا فى العصور الوسطي

استمدت العصور الوسطى حضارتها وكيانها من ثلاثة أصول ضخمة:
أولها: التراث الكلاسيكي بوجه عام والرومانى بوجه خاص.
ثانيها: المسيحية وكنيستها .
ثالثها: الجرمان .
أما هؤلاء الجرمان فكانوا جزء من العالم من العالم البربرى الواسع الذى أحاط الإمبراطورية من معظم نواحيها , والذين لم يلبثوا أن أثروا فى تغيير مصائر هذه الامبراطورية عندما أخذوا يهاجمونها منذ منتصف القرن الثانى. والواقع أنه كان من الممكن أن تعيش الامبراطورية الرومانية فى الغرب عمرا أطول وأن تموت موتا أبطأ رغم الانحلال الاقتصادى والاجتماعى والسياسى التى تعرضت له, لولا هجمات البرابرة التى أسرعت بالامبراطورية نحو مصيرها المحتوم.

تعريف كلمة بربرية :

ينبغى أن نلاحظ أن لفظ «بربرية» لا يرادف لفظ " همجية" أو لفظ «الوحشية» بأى حال. لأن المقصود بالبربرية مرحلة من التنظيم الاجتماعي القبلي الذي لم يتطور الى مرحلة الاستقرار وإقامة الدولة ذات الحدود الثابتة . و المجتمع البربرى يعتمد في الأساس على رابطة الدم أكثر من رابطة المواطنة بين أفراده .

أطلق الرومان اسم " البرابرة" على جميع الشعوب المحيطة بهم بوصفها أقل تحضرا من الرومان ورثة الحضارة الكلاسيكية .

أما الشعوب التى احاطت بالعالم الرومانى فكانت كثيرة ومتباينة, ففى الجنوب كان البربر فى غرب أفريقيا وفى الجنوب الشرقى كان العرب, و في الشرق وجد الفرس وفى الشمال الشرقى ربضت شعوب اسيوية رعوية مثل السكيثيين Scythians والسارماتيين Sarmatians والهون والبلغار والآفار والمجريين فضلا عن المغول والأتراك . وإلى الغرب من هذه الشعوب – أى داخل الحدود الأوروبية – وجد السلاف والجرمان والكلت فى غرب أوربا .

من هم الجرمان ؟

كانوا أقرب عناصر البرابرة الي حدود الامبراطورية الرومانية. اذ انتشروا فى القرنين الأول والثاني الميلاديين فى وسط أوربا وشرقها عبر نهرى الراين والدانوب.
الموطن الأصلي لهم فى البلاد المحيطة ببحر البلطيق فى شمال أوربا. ومن هناك أخذوا يتحركون جنوبا ليحلوا محل الكلت حتى استقروا فى المناطق الواقعة بين نهرى الألب والراين.
حيث حالت استحكامات القوات الرومانية فى منع تدفقهم داخل الامبراطورية .
يعد كتاب المؤرخ الروماني تاكيتوس المسمي " جرمانيا " أهم المصادر التاريخية التى تحدثت عن الجرمان وحياتهم الاجتماعية والسياسية والدينية .

أخلاق الجرمان:

كانت أخلاق الجرمان الأوائل مزيجا من الفضائل والنقائص التى عرفت بها الشعوب البدائية.
جمعوا بين الشجاعة والقسوة وبين الكرم وعدم مراعاة أصول الجيرة هذا فضلا عما عرفوا به من احترام للعهد وترابط بين أفراد الأسرة الواحدة ورعاية المرأة وهى الصفات التى ظلوا عليها ولم يفسدها سوى اختلاطهم بالرومان وتأثرهم بهم.
ولع الرومان الجرمان بالميسر والمقامرة حتى بلغ الأمر بالشخص الذى يفقد ماله أن يقامر على حريته.

الحياة الاجتماعية للجرمان :

أول ما امتدحه تاكيتوس فى الجرمان هو مراعاتهم الشديدة لرباط الزوجية.
فقد وجه الجرمان عناية فائقة للمرأة وقدسوا رباط الزوجية. وكان السائد بينهم الاكتفاء بزوجة واحدة .
مثلت الأسرة وحدة النظام الاجتماعي الجرماني , وتمتع الزوج بسلطة مطلقة على زوجته وأولاده .
ومن مجموعة الأسر التى تربطها قرابة الدم تألفت العشيرة , ثم تكونت الدولة من مجموعة عشائر. ولم يتمتع بحق ملكية الأرض سوى الأحرار والنبلاء فقط,
كان جميع أفراد الأسرة مسئولين عما يرتكبه أحد أفرادها من الجرائم . وعند القتل كان لا بد لأهل القتيل من الأخذ بالثأر أو أخذ فدية .

انقسم الجرمان من حيث البناء الاجتماعي إلى ثلاث طبقات:

1 – النبلاء : كانوا أساس الطبقة المحاربة الذين امتهنوا القتال . ولا يمارس افرادها سوي التدريب والاشتراك فى المعارك.
2 – الأحرار : لم يكونوا أحسن حالا من العبيد .
3 – العبيد : عملوا فى الزراعة والأعمال المنزلية .

لم يعرف الجرمان حياة المدن فى عصورهم الأولى, عاش الجرمان في أكواخ من الأخشاب وأغصان الأشجار والطين فى قري متناثرة وبعيدة عن بعضها البعض .
ارتدي الجرمان ملابس من جلود الحيوانات . وأطلقوا شعورهم ولحاهم . بينما ضفر الرجال شعرهم علي هيئة ضفائر معقودة فوق رؤوسهم .
طعامهم كان بسيطا يتألف من اللبن والفاكهة والحبوب ولحوم الصيد.
كان لهم شرابهم الخاص يصنع من الحنطة أو الشعير, بينما تعلموا شرب النبيذ من الرومان.
قدرت الثروة لديهم بعدد الخيول والماشية غيرها من الحيوانات الأليفة

عرف الجرمان النقود كما عرفوا الاوانى الذهبية والفضة, ولكن الحيوانات السابقة حلت عنهم محل النقود فى التبادل والمعاملة.

الحياة الدينية عند الجرمان

كانت ديانة الجرمان خليطا من الأساطير وعبادة القوي الطبيعية كالشمس والقمر والرعد وغيرها
لم يقم الجرمان معابد أو تماثيل لآلهتهم .
لم يؤلف الكهنة الجرمان طبقة خاصة بهم لها امتيازات خاصة تتحكم في الحياة الدينية للجرمان .

أسباب مهاجمة الجرمان للامبراطورية الرومانية:

1 – الظروف المناخية السيئة أوقعتهم تحت رحمة الطبيعة وظروفها القاسية من فيضانات خطيرة إلى قحط ومجاعات مما جعلهم فى حالة من الشدة ونقص فى الأقوات دفعتهم إلى الحركة.
2 – زيادة عدد السكان الجرمان الذين ضاقت امامهم سبل العيش.
3 – مهاجمة القبائل السلافية لهم من الشرق.
4 – الثروة الكبيرة والازدهار الاقتصادي للامبراطورية الرومانية , علاوة على خيراتها الوفيرة وحضارتها الزاهرة .

مهاجمة الجرمان للامبراطورية الرومانية

بدأ الجرمان مهاجمة الحدود الرومانية منذ القرن ال ثانى علي عهد الامبراطورين ماركوس أوريلوس (161-180م) وانتهى الأمر بتدمير قواتهم وظهر خطرهم على الامبراطورية الرومانية فى عهد الامبراطور كاراكالا (211-217م) ، وظلوا خمسين سنة يعيثون فسادا فى البلقان حتى نجح الامبراطور كلاوديوس الثانى (268-270م) ، في هزيمة الجرمان فى القرن الثالث عام 269 م ، شعر الرومان بخطر الجرمان فتنازلوا للقوط عن اقليم داشيا علي عهد الامبراطور أورليان (270-275م) وهو ما مهد لأول مملكة جرمانية داخل حدود الامبراطورية الرومانية .

شهد معظم القرن الرابع هدوء على جبهة الحرب بين الجرمان والرومان ، حاول الأباطرة الرومان استيعاب الجرمان والاستفادة من أعدادهم الكبيرة ومهارتهم فى القتال عبر تعيينهم كجنود مرتزقة

فى الجيش الروماني ، وبدأت حالات التاثير والتأثر بين الطرفين ، قام الجرمان بتغيير تكتيهم العسكري عام 375م وقاموا بغارات شاملة لقرنين من الزمان حتى 568 نجحوا خلالهما في تأسيس ممالك جرمانية جديدة وتغيير الخريطة السياسية لأوربا في العصور الوسطي .

قبائل الهون Huns:

اجتاح الهون الآسيويون اقليم الدانوب الأدني بعد أن تغلغل القوط الغربيون داخل جسم الامبراطورية سنة 375. واحتلوا سواحل البحر الأسود حتي العام 425م عندما احتلوا اقليم تراقيا وبداوا فى تهديد مدينة القسطنطينية. وهاجم قائدهم أتيلا الولايات الرومانية فى حوض نهر الدانوب بين سنتى430 و433م ، مما دفع الامبراطور ثيودوسيوس الثاني (408-450م) الي دفع الجزية له مقابل عدم اعتدائهم على دولته.

قام أتيلا بعد ذلك بمهاجمة غاليا 451 م مما أدي الي تحالف الرومان مع القوط الغربيين ونجحوا في إلحاق هزيمة قاسية بالهون وأتيلا في معركة شالون 451م التي اعتبرت من أهم المعارك في التاريخ الاوربي الوسيط لأنها أنقذت الغرب الاوربي من وحشية وفظاعة قبائل الهون .
عاد اتيلا بعد ذلك ليهاجم ايطاليا 452, مما جعل البابا الكاثوليكي ليو العظيم (440 – 461م) يخرج لمفاوضته بنفسه .

تذكر بعض الروايات الاسطورية أن أتيلا خشي من طيف القديس بطرس فأسرع بالإياب. ويبدو فى الواقع أن أتيلا أحس باقتراب الجيوش الرومانية مما جعله يسرع باخلاء ايطاليا سنة 452 م ، مقابل وعد بجزية سنوية, وتوفى أتيلا 453 وحاول ابناؤه اقتسام الامبراطورية ولكن الشعوب الخاضعة للهون ثارت عليهم وأنزلت بهم الهزيمة وانهارت امبراطورية الهون قبل مضى عشرين عاما على وفاة أتيلا.

قبائل البرجاندين Bergandiun :

هم أول من عاني من قبائل الهون ومن ثم استفادوا من تفكك امبراطوريتهم.
ظهر البرجنديون لأول مرة عند حوض نهر الراين فى القرن الثالث الميلادى ، واستخدمهم الأباطرة الرومان كجنود مرتزقة في الجيوش الامبراطورية فى القرن الرابع ، وشاركوا الرومان والقوط الغربيين فى هزيمة أتيلا في شالون عام 451م .وأول من استفاد من انهيار امبراطوريته , فتوسعوا عبر جبال الألب .

قبائل السلاف Slave :

كان السلاف أولى ضحايا قبائل الهون من الشرق وكانوا قد استقروا فى المناطق المعروفة بأواسط روسيا , ويبدو أن هؤلاء السلاف تعرضوا لكثير من المتاعب فى أوائل العصور الوسطى بسبب ضغط بقية العناصر الآسيوية عليهم من الجنوب والشرق وضغط الجرمان عليهم من الشمال, مما عرض العديدين منهم للاستعباد . لدرجة أن كلم ة عبد كثيرا ما اشتقت في اللغات الأوربية من كلمة Slave أي السلافيين .

قبائل الكلت Celt:

عرفهم الرومان باسم الغاليين Gauls وقد سركن الكلت أو الكلتيون شمال اوربا حتي نهر الألب شرقا . ثم تدفقوا عبر ايطاليا الي بلاد الغال (فرنسا) . كما قام الكلت بغزو الجزر البريطانية . وبذلك أصبح الكلتيون فى القرون الخمسة السابقة للميلاد يحكمون بلادا واسعة. ونتيجة لهجمات الجيوش الرومانية المتكررة عليهم قاموا بالاستقرار في إيرلندا .

BAROUD

المحاضرة الرابعة

البرابرة وسقوط الامبراطورية فى الغرب (2)

عناصر المحاضرة
1 – القوط الغربيون .

2 – القوط الشرقيون .

3 – الفرنجة .

القوط الغربيون :

قرب منتصف القرن الثانى الميلادى بدأت قبائل القوط رحلة طويلة نحو الجنوب الشرقى حيث استقروا شمالى البحر الأسود, وهناك انقسم القوط إلى قسمين شرقيين وغربيين فانتشر الشرقيون فوق سهول روسيا الجنوبية فى حين استقر القوط الغربيون في داشيا والبلقان في القرنين الثالث والرابع الميلاديين . وأفادوا من الحضارة الرومانية وتأثروا بها تأثراً ظهر فى اعتناقهم المسيحية على المذهب الأريوسي بفضل الأسقف ولفلاس Wulfilas في القرن الرابع الميلادي . وانتشر المذهب الأريوسى بفضل ولفلاس بين طوائف الجرمان مثل الوندال والبرجنديين واللمبارديين مما كان له تأثير كبير فى مستقبل أحداث تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى.

هرب القوط الغربيون أمام وحشية هجمات قبائل الهون . وسمح لهم الامبراطور الروماني فالنز بالدخول الي حدود الامبراطورية الرومانية عام 376م . ورغم موافقة الامبراطور الرومانى على بعبور الدانوب ليسلموا من خطر الهون, الا أن عبور ما يقرب من مليون ومائة ألف محارب من القوط الغربيين أحدث هزة عنيفة فى جسم الامبراطورية بل وثاروا على الامبراطورية وانزلوا الهزيمة بالامبراطور فالنز وذبحوه سنة378م . وهو ما دفع خليفته الامبراطور ثيودوسيوس الي عقد الهدنة معهم . بمقتضى الهدنة يسمح للقوط الشرقيين بالاقامة فى اقليم بانونيا والقوط الغربيين فى شمال تراقيا وتعتبر تلك الاتفاقية نقطة تحول كبري في سياسة الرومان تجاه الجرمان الذين رسخوا وجودهم داخل حدود الامبراطورية الرومانية وتأسيس ممالك داخل حدودها.

تبرم القوط الغربيين من اتفاقية الصلح عام 395 م لما فيها من التزامات وخدمات عسكريه يؤدونها للإمبراطور في الوقت الذي كانوا ينشدون حياة الاستقرار لذلك ثاروا عام 395 م تحت زعامة ملكهم ألاريك Alaric فغزوا مقدونيا واقتحموا أثينا حتى اقتربوا من القسطنطنيه وكانت الحكومة الرومانية الشرقية في حالة تبلد فلم تتحرك الأمر الذي جعل الحكومة الرومانية الغربية تقوم بهذا الأمر لدفع خطر القوط الغربيين وقام الإمبراطور بمحاصرتهم في الوقت الذي قام فيه إمبراطور الدولة الرومانية الشرقية بمنحهم إقليم اليريا عام 398 م وفى عام 402 م استطاع القوط

الغربيون غزو ايطاليا ولم يلبس ملك ايطاليا أن رد ملك القوط على أعقابه إلا أن ملك القوط الغربيين تشبث برغبته في احتلال ايطاليا فاحتل روما عام 410 وقد توفى ألاريك قرب نهاية 410 م. ولم يجد الإمبراطور من وسيله لإخراج القوط الغربيين من ايطاليا سوى إعطائهم إقليم أكوتين من اللوار حتى البرانس واستمر القوط الغربيون في توسعهم حتى استطاعوا القضاء على ما تبقى من النفوذ الروماني في اسبانيا.

عمل ثيودوريك الأول (419 – 451م) علي تثبيت أركان مملكة القوط الغربيين . وقام بهزيمة الرومان وانتزاع عدة مدن منهم.

قام ثيودوريك الثاني (451 – 465م) بتوسيع حدود مملكة القوط الغربيين , وقضي علي النفوذ الروماني في أسبانيا . كما وضع أول مجموعة للقانون الجرماني .

ظلت مملكة القوط الغربيين في أسبانيا حتي القرن الثامن الميلادي عندما استطاع المسلمون هزيمتها وفتح الأندلس بقيادة طارق بن زياد عام 711م م .

القوط الشرقيون:

تعرض القوط الشرقيون لخطر الهون غير أنهم لم يستطيعوا الفرار عبر الدانوب كما فعل أقرباؤهم الغربيون ومن ثم ظلوا تحت سيطرة الهون ما يقرب من سبع وسبعين سنه أى حتى سنة 452 عندما توفى أتيلا وتفككت إمبراطوريته وأخذت الشعوب الخاضعة للهون تتحرر من سيطرتهم.

القوط الشرقيون والإمبراطورية الرومانية:

بعد أن تحرر القوط الشرقيون من سيطرة الهون اتجهوا جنوبا نحو حدود الإمبراطورية الرومانية فرأى الإمبراطور الروماني لإنقاذ أقاليم الدولة الشرقية من عبث القوط الشرقيين أن يلهيهم بإيطاليا فألقاها لهم لقمة سائغة سنة 488م .

الأمر الذي جعلهم ينتقلون بأعداد كبيره إلى ايطاليا في الوقت الذي قطع فيه القوط الشرقيون علاقتهم بالوطن الأم لهم .

BAROUD

ايطاليا تحت حكم القوط الشرقيون :

كان يحكم القوط الشرقيين أثناء تواجدهم بإيطاليا زعيم قوطى عظيم هو ثيودريك فكان أعظم شخصيه سياسيه في عصره حيث أن ايطاليا تمتعت في عهده بحكومة قويه سارت وفق الأساليب والنظم الرومانية, وقد اعتبر حاكما رومانيا لا زعيما بربرياً فقد تأثر بالحضارة الرومانية فترة مكوثه في القسطنطينية. كما احتفظ بالسناتو والنظام الاداري واستعان بموظفين أكفاء أمثال كاسيودورس وبوئيثيوس .

كما عرف بتسامحه الديني ورعايته للفنون والآداب والحرص علي إقامة العديد من الجسور والمنشآت العامة .

على الرغم مما عرف عن ثيودريك من تسامح ديني ورغبته فى التوفيق بين القوط الاريوسيين والايطاليين الاثناسيوسين إلا أن الخلاف المذهبي ظل يحول دون حسن التفاهم بين الطرفين .

قام ثيودوريك بمناشدة البابا التدخل لدي الامبراطور البيزنطي جستين الأول (518-527م) الذي اضطهد المسيحيين الآريوسيين ، وعندما فشل البابا في مهمته رد ثيودوريك علي ذلك باضطهاد المسيحيين الكاثوليك في ايطاليا .

بعد وفاة ثيودوريك , قام إمبراطور الدولة الرومانية الشرقية بإرسال جيش لتخليص ايطاليا من القوط الشرقيين وعلى الرغم من مقاومة القوط الباسلة إلا أن قوتهم انهارت بعد سنوات وبذلك اختفى القوط الشرقيون بصوره كامله من التاريخ.

دولة الفرنجة:

نشأة دولة الفرنجه :- كانت الدولة الجرمانية الوحيدة التي استطاعت البقاء داخل الإمبراطورية الرومانية حيث أن هذه الدولة أخذت في الظهور مع بداية القرن الخامس الميلادي وكانت أهم عناصرها الفرنجة البحريون والفرنجة البريون وكان كل من هذين الفرعين قد استقر بالفعل داخل الإمبراطورية الرومانية يعتبر كلوفيس (486-511م) المؤسس الحقيقي لدولة الفرنجة البحريين بعدما هزم سياجروس عام 486م .

استوطن الفرنجة حوض نهر الراين الأدني. وأضافوا أقاليما جديدة دون أن يتخلوا عن وطنهم . كما تميزوا عن باقي القبائل الجرمانية بان تعاملوا برفق مع السكان المحليين . كما احتفظوا أيضا بعلاقات وطيدة مع الامبراطورية الرومانية والبابوية ,خاصة بعد اعتناق الملك كلوفيس للمسيحية على المذهب الأثناسيوسي بخلاف باقي القبائل الجرمانية .

طابع حركة الفرنجة :

اختلفت حركة الفرنجه كثيرا في طابعها عن الحركات التي قامت بها بقية الشعوب الجرمانية لأنها كانت حركه توسعيه أكثر من كونها هجره تتصف بطابع الغزو هذا فضلاعن احتفاظهم بحسن العلاقات مع الإمبراطورية الرومانية في معظم الحالات وهو ما ساعد على التقريب بينهم وبين سكان البلاد الأصليين .

ديانتهم :- اعتنق الفرنجه ألمسيحيه على مذهبها الاثناسيوسى أو الغربي مخالفين في ذلك بقية الشعوب ألجرمانيه التي ظلت ممقوته في الغرب بسبب اريوسيتها.

اثر اعتناق الفرنجة للمسيحية الاثناسيوسية:

استطاع كلوفيس باعتناقه للمسيحية الاثناسيوسية أن يكتسب عطف الكنيسة ألكاثوليكيه الغربية وتأييدها للفرنجة في جميع أرجاء غرب أوروبا ومعنى ذلك قيام نوع من التعاون والارتباط بل التالف والامتزاج بين الفرنجه والرومان وهو أمر كان لا يمكن تحقيقه بين الرومان والاثناسيوسيين من جهة والبرجنديين أو القوط الاريوسيين من جهة اخرى كما ظهر ملوك الفرنجه في ثوب حماة المسيحية ورجالها في الغرب مما مهد لإيجاد نوع من التحالف بين البابوية وملوك الفرنجة وهو التحالف الذي كان له اثر بعيد في مستقبل أوروبا في العصور الوسطى من جهة أخرى .

موقف الطوائف الجرمانية الاريوسية من الفرنجة:

كان اعتناق الفرنجه للمذهب الكاثوليكي قد أثار روح البغضاء والكراهية بينهم وبين غيرهم من طوائف الجرمان الاريوسيين مثل البرجنديين والقوط الغربيين إلا أن كلوفيس استطاع أن يجبر البرجنديين على دفع الجزية رمزا للتبعية وأما القوط الغربيون فإن كلوفيس شن عليهم الحرب عام 507م وقتلهم ولم ينقذهم من أيدى الفرنجة سوى تدخل ملك القوط الشرقيين الذي أسرع لنجدة أقربائه ثم تم التوقيع على اتفاقية صلح بين الطرفين .

اثر وفاة كلوفس على وحدة الفرنجة:

1 -تقسيم الدوله الفرنجيه بين أبنائه : - عندما توفى كلوفيس عام 511م كانت الدولة الفرنجية مترامية الاطراف في الوقت الذي اعتبر فيه ابنائه أن هذه الدولة ارث لهم وانه يجب تقسيمها فيما بينهم وهو الأمر الذي دفع كلوفيس لتقسيم مملكته بين ابنائه الأربعة قبل مماته.

2 - نجح لوثر الأول في إعادة توحيد مملكة الفرنجة عام 588 بعد وفاة إخوته الثلاثة غير أن أبناء لوثر الأول قاموا بتقسيم مملكة الفرنجة فيما بينهم

تاريخ العصور الوسطى

مدرس المادة: محمد مجيد / قسم التاريخ / كلية التربية للعلوم الانسانية / جامعة الحمدانية

عنوان المحاضرة

الحروب الصليبية

هي سلسلة من الحملات العسكرية الأوروبية ذات طابع ديني، استمرت نحو قرنين من الزمان، من عام ١٠٩٦ الى ١٢٩١، شملت ٨ حملات رئيسية، تفاوتت في حجمها وقوتها ومقدار نجاحها، وكان مقصدها الأساسي بلاد المشرق الإسلامي.

انطلقت الحملات بدعوة من الكنيسة الكاثوليكية تحت شعار الصليب، بهدف تحرير الأراضي المقدسة من أيدي المسلمين واستعادة القدس، مع دوافع أخرى عديدة استعمارية واقتصادية غير معلنة، قصدت توسيع نفوذ الفرنجة عالميا وإيقاف التمدد الإسلامي نحو أوروبا، وخدمة مصالح أطراف شتى تحت غطاء ديني.

الدوافع والأسباب

أثبت الواقع التاريخي للحملات الصليبية وجود دوافع عديدة استترت خلف الدافع الديني المعلن، فمنها السياسي والاقتصادي والاجتماعي، إضافة إلى مصالح شخصية للأفراد والجماعات المختلفة، ويمكن إجمال أسباب تلك الحروب كالآتي:

الدافع الديني:

عبر تخليص القدس من أيدي المسلمين، وتهيئة جو آمن للحجاج المسيحيين في الأراضي المقدسة، وقد أعلنه البابا أوربان الثاني عندما ألقى في مدينة كليرمون عام ١٠٩٥ خطابا حماسيا مطولا، حضره جمع غفير من رجال الدين والفرسان والنبلاء وعامة الناس، حرّض فيه على ما سماه "الحرب المقدسة" وحث على الزحف إلى المشرق الإسلامي لتحرير القدس، على خلفية ما ادعاه من "اضطهاد يتعرض له الحجاج المسيحيون في بيت المقدس".

وحملت دعوة البابا وعودا بالغفران لكل من يشارك في الحرب، ووزع صلبانا قماشية ليخيطها المشاركون في الحرب على ثيابهم، وكانت هذه الدعوة في الواقع سبيلا لترسيخ نفوذ الكرسي الرسولي في روما، وبسط سيطرته على الكنيسة الشرقية، وزيادة هيمنته في العالم المسيحي.

الدافع السياسي:

من خلال توسيع النفوذ الأوروبي السياسي، وتأسيس إمارات في بلاد المشرق، وهو أحد البواعث الخفية التي ضغطت وراء الكنيسة لإنفاذ تلك الحملات، وكانت لدى البابا أوربان طموحات سياسية توسعية.

وكان للكنيسة نفوذ على ملوك وأمراء أوروبا، الذين وافقت فكرة التوسع هوى عندهم، فرغبوا في تأسيس إمارات لهم في مناطق أخرى بعد أن ضاقت أوروبا بالصراعات الإقطاعية، وتلهف الفرسان للمشاركة، التي فتحت شهيتهم على إمكانية الحصول على أراض جديدة ومكاسب مادية وألقاب رفيعة.

الدوافع الاقتصادية:

بهدف الحصول على خيرات وثروات بلاد المشرق، وتحسين الأوضاع الاقتصادية المتدهورة في أوروبا، التي عاشت حالة مزرية من الفقر والبطالة والجوع، وكانت تصلهم الأخبار عن حالة الرخاء التي تتمتع بها بلاد المسلمين، التي كان يشار إليها بأنها "أرض تفيض باللبن والعسل"، فكان طموحهم الحصول على تلك الخيرات والتمتع بها.

كما دعم تجار مدن جنوب أوروبا كالبندقية وبيزا وجنوة ومرسيليا الحملات، بنقل المقاتلين بأساطيلهم، وتوصيل الإمدادات لهم، بهدف الحصول على أرباح طائلة، والسيطرة على المراكز التجارية المهمة في بلاد المشرق، والاستفادة من الخدمات الإضافية التي تمنح لهم.

الدافع الاجتماعي:

عن طريق التخلص من نظام الإقطاع وتبعاته، فقد كان الفلاحون والعبيد يعانون من الطبقية في ظل نظام الإقطاع، ويعيشون حياة بائسة، تفتقر إلى الحقوق الأساسية، فضلا عن الظلم والتسخير والفاقة وتدني مستوى المعيشة، فوجدت تلك الطبقة الفرصة سانحة للهرب، وتأسيس حياة جديدة في بلاد أخرى.

السبب المباشر:

أما السبب المباشر فهو الانتصار الحاسم الذي حققه السلاجقة بقيادة السلطان ألب أرسلان في معركة" ملاذ كرد "على الدولة البيزنطية عام ١٠٧١، وما نجم عنه من الاستيلاء على العديد من المناطق التابعة للبيزنطيين.

فقد أرعب التوسع المطرد للسلاجقة الإمبراطور البيزنطي أليكسيوس الأول، فاستغاث بالبابا لمساندته في محاربة السلاجقة، بحجة تحرير الأراضي المقدسة من أيدي المسلمين، وقد استجاب البابا أوربان الثاني، ودعا إلى حرب دينية على المسلمين، واستجابت أوروبا، التي خشيت أن يفتح سقوط بيزنطة الطريق أمام سلاجقة الروم للتمدد إلى أوروبا.

الحملات:

ضمت الحروب الصليبية عديدا من الحملات، واشتملت على ٨ حملات رئيسية:

الحملة الأولى (١٠٩٦-١٠٩٩):

بدأ البابا أوربان الثاني ورجال الكنيسة بحملة مكثفة استمرت حوالي ٨ أشهر لحشد الجيوش، التي ضمت أكبر عدد من الفرسان والأمراء، وأسفرت عملية التعبئة عن حملتين، هما:

- حملة العوام : وضمت جموعا غفيرة من الفلاحين والفقراء وقطاع الطرق بقيادة الأسقف بطرس الناسك، الذي انطلق بهم إلى القسطنطينية عام ١٠٩٦، والتقوا هناك بمجموعة أخرى من الصليبيين بقيادة والتر الملقب المفلس، ونهبوا وسلبوا وأفسدوا طوال مسيرهم، مما دفع بالإمبراطور البيزنطي إلى إرسالهم نحو آسيا الصغرى، حيث التقوا السلاجقة، الذين هزموهم هزيمة نكراء، حتى لم يبق منهم إلا القليل.

- حملة الأمراء: اشتملت على ٤ قوات: جيش فرسان شمال فرنسا واللورين، وجيش فرسان غرب فرنسا ونورماندیا، وجيش جنوب فرنسا والبروفنسال، وجيش فرسان النورمان، وفي مسيرتهم انضم إليهم كثيرون من ألمانيا والنمسا والمجر وغيرها، وقُدر عدد الجيوش بما بين ٦٠ و١٠٠ ألف مقاتل، انطلقوا نحو القسطنطينية، ومنها إلى آسيا الصغرى، حيث حاصروا نيقية عاصمة السلاجقة، وتمكنوا من الاستيلاء عليها عام ١٠٩٧.

واستمر الصليبيون في طريقهم إلى الشام، وواصلوا انتصاراتهم حتى استطاعوا السيطرة على أجزاء واسعة من الشام، واستولوا على معظم مدن الساحل، وتمكنوا من احتلال القدس عام ١٠٩٩، وأثناء حروبهم سفكوا دماء المسلمين واليهود وارتكبوا مذابح وفظائع، بل لم يسلم منهم المسيحيون المحليون، فقد استولوا على أديرتهم وطردوهم من كنائسهم.

وبعد فترة وجيزة من تحقيق هدفهم، عادت الغالبية العظمى من الصليبيين إلى أوروبا، أما الذين بقوا فقد أسسوا أربع إمارات هي: إمارة الرها وإمارة أنطاكية وإمارة بيت المقدس وإمارة طرابلس، وبنوا قلاعا حصينة، وأصبحت لهم اليد العليا في البلاد.

الحملة الثانية (١١٤٧-١١٤٩):

بعد مضي ما يقارب ٣ عقود على الوجود الصليبي في المشرق الإسلامي، بدأ نجم عماد الدين زنكي حاكم إمارة الموصل يلمع، وأخذ يبرز بوصفه أقوى حاكم مسلم في المنطقة، واستطاع توسيع إمارته فضم حماة وحمص، ثم تمكن من استرداد إمارة الرها عام ١١٤٤.

وعندئذ دعا البابا إلى حملة جديدة، للوقوف في وجه القوة الإسلامية الصاعدة، فكانت الحملة الصليبية الثانية، التي بدأت عام ١١٤٧، وتكونت من جيشين عظيمين، ضم كل واحد منهما نحو ٧٠ ألف جندي، أحدهما بقيادة إمبراطور ألمانيا كونراد الثالث، والثاني بقيادة ملك فرنسا لويس السابع.

وانطلق الجيشان إلى الشام، وبدأ الصليبيون بمهاجمة دمشق، وحاصروها، لكن السلطان نور الدين زنكي، الذي تولى حكم الموصل وحلب بعد وفاة والده عماد الدين، سيّر جيوشه إلى دمشق، وهزم الصليبيين، الذين تقهقروا إلى أوروبا يجرون ذيول الخيبة بعد فشل حملتهم، وبقيت الرها في ظل الحكم الإسلامي، وفي غضون بضع سنوات، ضم نور الدين دمشق، وجعلها قاعدة له.

وكان الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي في تلك الآونة قد ألغى الحكم الفاطمي في مصر، واستقل بالحكم فيها، وبعد وفاة نور الدين زنكي، وحّد إمارات الشام ومصر وأسس الدولة الأيوبية، وتصدى للصليبيين.

ودارت بينه وبين الصليبيين معارك أشهرها معركة حطين التي وقعت عام ١١٨٧، وكانت معركة فاصلة، هُزم فيها الصليبيون، ومهدت الطريق لتحرير مدن الشام، فقد مضى صلاح الدين على إثرها ففتح طبرية وعكا والناصرة وقيسارية وحيفا وصفورية ونابلس وجبيل وعسقلان والرملة وغزة وبيت لحم والخليل، حتى انتهت مسيرة النصر بتحرير بيت المقدس.

الحملة الثالثة (١١٨٩-١١٩٢):

كانت استعادة المسلمين لبيت المقدس ضربة موجعة للصليبيين، فدعا البابا غريغوري الثامن إلى حملة جديدة، لكنه ما لبث أن توفي، فواصل خليفته البابا كليمنت الثالث المهمة، فاستجابت أوروبا بحشد جيوش شاركت فيها ألمانيا بقيادة الإمبراطور باربروس وفرنسا بقيادة الملك فيليب الثاني وبريطانيا بقيادة الملك ريتشارد (قلب الأسد)، ولكن باربروس غرق في أحد أنهار آسيا الصغرى قبل أن يصل إلى الشام، ولم يكمل الطريق من جيشه إلا نحو ألف جندي.

وقد قصد الجيش الصليبي عكا فحاصرها واستولى عليها عام ١١٩١، غير أن الملك فيليب تعلل بمرضه وعاد إلى فرنسا، وبقي في الميدان ريتشارد قلب الأسد وحده، فاحتل بعض مدن الساحل، ولكن الحملة فشلت في تحقيق هدفها الرئيسي بالاستيلاء على القدس، وأسفرت عن "صلح الرملة" بين الصليبيين وصلاح الدين عام ١١٩٢، الذي تضمن هدنة، وكان من بنوده:

- احتفاظ الصليبيين بمدن الساحل من صور إلى يافا.
- ضمان حرية حج المسيحيين إلى بيت المقدس دون تقديم ضرائب.
- بقاء قس من الصليبيين في القدس.
- حرية تنقل كل طرف في الأراضي التي يسيطر عليها الآخر.

الحملة الرابعة (١٢٠٢-١٢٠٤):

بعد فشل الحملة الثالثة، أدرك الصليبيون أهمية مصر في نجاح وصولهم إلى القدس، إضافة إلى أهمية موانئها للنشاط التجاري، فقرروا الاستيلاء عليها، ودعا البابا إنوسنت إلى "الحرب المقدسة".

وتجمعت الجيوش الصليبية في البندقية عام ١٢٠١، للانتقال بأساطيلها إلى مصر، ولكن الحملة غيرت مسارها نحو القسطنطينية، لمساندة الإمبراطور البيزنطي إليكسيوس لاسترداد عرشه، وتمكن الصليبيون من السيطرة على القسطنطينية، وتسليمها للإمبراطور، لكن خلافا كبيرا نشب على التعويضات التي وُعدوا بها، فاحتلوا القسطنطينية عام ١٢٠٤، وعاثوا فيها فسادا، وعينوا عليها حاكما جديدا.

الحملة الخامسة (١٢١٨-١٢٢١):

جدد البابا إنوسنت الثالث الدعوة إلى حملة صليبية، وبدأت أوروبا تجهز قواتها، التي وصلت تباعا إلى عكا، ومنها انطلق الصليبيون إلى مدينة دمياط المصرية الواقعة على البحر الأبيض المتوسط، فحاصروها حتى استولوا عليها عام ١٢١٩، واستقروا فيها.

وفي عام ١٢٢١ بدأ الصليبيون الزحف جنوبا، وتصدى لهم الملك الكامل الأيوبي، واستطاع هزيمتهم هزيمة ساحقة، واستولى المسلمون على سفنهم ومعداتهم الحربية، ثم طاردوا فلولهم إلى دمياط، ودحروهم تماما عن مصر كلها، وأنشأ الملك الكامل في موضع المعركة قرية سماها المنصورة، تمجيدا للنصر الذي أحرزه المسلمون.

الحملة السادسة (١٢٢٨-١٢٢٩):

لم يتقبل البابا الهزيمة، فدعا إلى حملة صليبية جديدة، كان على رأسها هذه المرة الإمبراطور الألماني فردريك الثاني، الذي خضع لضغوط البابا، وكان قد أوقع عليه عقوبة الحرمان الكنسي لتباطئه، فخرج الإمبراطور عام ١٢٢٨ في جيش قوامه نحو ٦٠٠ فارس.

وحاز الإمبراطور على مكاسب لم تحصل عليها أية حملة بعد الحملة الصليبية الأولى، فقد صالح فردريك عام ١٢٢٩ الملك الكامل على أن يكون للصليبيين بيت لحم والقدس مع شريط من الأرض يصل بين القدس وعكا، في حين يبقى للمسلمين المسجد الأقصى وقبة

الصخرة والمناطق الريفية، وبالمقابل تعهد فردريك بمنع أية حملة صليبية إلى المنطقة طوال عشر سنوات.

الحملة السابعة (١٢٤٨-١٢٥٤):

بعد وفاة الملك الكامل، تولى ابنه الملك الصالح نجم الدين الحكم، وكانت الهدنة التي عقدها والده مع فردريك قد انتهت، وكان البابا غريغوري التاسع قد بدأ التحريض على الحرب مع الشرق منذ عام.

فحشد ملك نافار تيبالد الشامباني مجموعة من النبلاء، سار بهم إلى عكا، واستطاع تكوين جيش من ألف جندي، والتحموا مع الجيش المصري في قرية بين عسقلان وغزة عام ١٢٣٩، فحقق المسلمون انتصارا في المعركة، تمكن الملك الصالح على إثره من استعادة القدس عام ١٢٤٤.

وصعقت أوروبا لنبأ تحرير القدس، ودعا البابا غريغوري التاسع إلى الحرب المقدسة، واستجاب ملك فرنسا لويس التاسع، فقاد جيشه إلى دمياط واستولى عليها عام ١٢٤٩، وعسكر الملك الصالح بجيوشه في المنصورة، ولم يطل المقام حتى توفي الملك الصالح، وتولى الحكم ابنه توران شاه أثناء رباطه في أرض المعركة.

وطمع الصليبيون في النصر في أعقاب شيوع خبر وفاة الملك، فتقدموا نحو جيش المسلمين، ودارت معركة حاسمة في فارسكور عام ١٢٥٠، انتصر فيها المسلمون بقيادة توران شاه، وأسروا ملك فرنسا وعددا وافرا من جنوده، واضطر لويس التاسع إلى دفع فدية باهظة مقابل إطلاق سراحه، والدخول في هدنة مدتها ١٠ سنوات، والرجوع خائبا إلى أوروبا.

الحملة الثامنة عام ١٢٧٠

أراد الملك لويس التاسع استعادة هيبته، وتعويض الهزيمة التي تلقاها في مصر، فجهز حملة جديدة مقصدها تونس عام ١٢٧٠، وقد قرر المستنصر بالله الحفصي أن يتخذ موقف الدفاع، فملأ سواحل قرية رادس بالجند، ولم تقع بين الطرفين معارك ذات أهمية، إذ أصيب لويس

التاسع بحمى وفارق الحياة، فعقد الطرفان صلحا، على إثره غادرت الحملة إلى فرنسا، وكانت تلك هي خاتمة الحروب الصليبية.

تصفية الوجود الصليبي:

كان توران شاه آخر ملوك الأيوبيين، وقد قامت عقبه دولة المماليك، وكانت دولة قوية حملت على عاتقها تطهير الشام من بقايا الصليبيين، ولما تسلم الظاهر بيبرس الحكم عام ١٢٦٠، أنشأ قوة بحرية في كل من دمياط والإسكندرية، ثم بدأ الهجوم على الإمارات والحصون الصليبية بالشام، فاستطاع السيطرة على قيصرية وأرسوف وصفد ويافا، ثم استولى على أنطاكيا ومعظم المدن التابعة لها، كما هاجم إمارة طرابلس واستعاد حصن عكا وحصن الأكراد.

وواصل المنصور قلاوون عندما اعتلى السلطة عام ١٢٧٩ دحر الصليبيين، فاستعاد اللاذقية وإمارة طرابلس، وخلفه ابنه الأشرف خليل على العرش، الذي سجل عهده نهاية الصليبيين في بلاد الشام، فقد قصد عكا واستولى عليها عام ١٢٩١، وبعدها انفرط عقد المعاقل الصليبية، فتتابع سقوط مدنهم وحصونهم واحدا تلو الآخر صور وصيدا وطرطوس وبيروت.

النتائج:

تمخضت الحروب الصليبية التي استمرت زهاء قرنين عن جملة من النتائج، ظهرت في جوانب عديدة، أبرزها:

- **الجانب العسكري:**

فشلت الحملات الصليبية فشلا ذريعا، فقد استطاع المسلمون دحر الجيوش الصليبية، واستعادة القدس والشام والمدن الأخرى التي تم الاستيلاء عليها.

- **الجانب الحضاري:**

تأثرت الشعوب الأوروبية التي قدمت إلى ديار الإسلام بمظاهر المدنية والحضارة التي رأتها، فاقتبست منها ونقلتها إلى بلادها، وظهر ذلك في مجالات عديدة، منها: الجانب العسكري والزراعي والعلوم والأدب والفلسفة والفنون والعمارة، وكان ذلك أحد محفزات الغرب نحو النهضة الحديثة.

- **الجانب السياسي:**

قضت الحروب الصليبية على نظام الإقطاع في أوروبا، حيث باع كثير من الإقطاعيين أراضيهم للمشاركة في الحملات، وشاركت طبقة العبيد والفلاحين في الحروب بأعداد كبيرة، وهي التي كانت مرتكزا أساسيا للنظام الإقطاعي، مما حد من نفوذ الإقطاعيين، وأدى إلى تقوية نفوذ العائلات الملكية، وتعزيز السلطة المركزية للملوك، التي حدت منها من قبل بشكل كبير السلطة الإقطاعية.

- **الجانب الاقتصادي:**

عززت الحروب الصليبية النشاط التجاري الدولي بين الشرق والغرب، وأسهمت في انتعاش مدن جنوب أوروبا، مثل جنوة والبندقية وبيزا ومرسيليا.

- **الجانب الديني:**

أعلت الحروب الصليبية من شأن البابوية، وزادت من نفوذ الكنيسة في أوروبا، وفي الوقت نفسه، عمقت الكراهية بين المسلمين والمسيحيين، وزادت حدة الاستقطاب بين الشرق والغرب على أساس التباين الديني.

تاريخ العصور الوسطى

مدرس المادة: محمد مجيد / قسم التاريخ / كلية التربية للعلوم الانسانية / جامعة الحمدانية

عنوان المحاضرة

الحياة الاقتصادية والاجتماعية والفكرية في اوروبا خلال العصور الوسطى

-القوط الغربيون Visigoths

- القوط الشرقيون Ostrogoths

Vandals الوندال

Lombards اللمبارديين

Brugandian والبروكنديون

Angles االانكليز

Saxons السكسون

Franks

Jutes الجوت

مملكة فرنسا
الإمبراطورية الرومانية المقدسة
مملكة أسكتلندا
بحر الشمال
مملكة النرويج
مملكة السويد
بحر البلطيق
مملكة الدنمارك
أيرلندا
مملكة إنجلترا
ويلز
لندن
هاسبورج
المقاطعات السلافية
فريزلاند
سكسونيا
مملكة بولندا
اللورين الأسفل
تورنجيا
الفلاندرز
فرنكورنيا
بوهيميا
مقاطعة بافاريا
اللورين الأعلى
مقاطعة هافاريا
المحيط الأطلسي
نورمندي
باريس
شمبانيا
مملكة المجر
بريتاني
بلوا
فرنسا
صوابيا
بافاريا
أنجو
بورغندية
كارينثيا
فرانش كومت
تورين
مقاطعة فيرونا
مملكة كرواتيا
لومبارديا
البندقية
أكويتان
الدول البابوية
بروفنس
جنوه
صربيا
مملكة نافاري
تولوز
توسكانيا
إمبراطورية البيزنطية
مملكة ليون
مملكة قشتالة
برشلونة
الدول البابوية
روما
كورسيكا
مملكة أراغون
برشلونة
سردينيا
الإمارات النورمندية
الدولة الإسلامية
البحر الأبيض المتوسط
الدولة الإسلامية
٢٠٠ ميل
٢٠٠ كم

صعود الإقطاع في أوروبا في العصور الوسطى

(500 م-1500 م).

غزوات البرابرة تسبب سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية، وترك أوروبا في حالة من الفوضى.

أدى لا قيادة مركزية بارتفاع نسبته الجديد الدول /ممالك التي لا متحدون.

ممالك جديدة غير قادرة على حماية نفسها من البرابرة مما تسبب في الحاجة إلى مترجم حماية.

ال ارتفاع الإقطاع في أوروبا.

النظام الإقطاعي هو أحد الأنظمة الاقتصادية والزراعية والسياسية التي ظهرت في العصور الوسطى في غرب أوروبا، وكانت أحوال أوروبا في العصور الوسطى وهي الفترة التي تبدأ من القرن الخامس للعاشر الميلاديين .

– تسود عليها حالة من الظلام الدامس في جميع أنحاء أوروبا كان للكنيسة الحكم المطلق على البلاد، وكانت الكنيسة تتدخل وتحكم الأمور السياسية تحت راية الدين، وفي هذا الوقت كان المسلمون يعيشون حالة من الازدهار في كافة العلوم

اعتمد النظام الإقطاعي على ملكية الأفراد للأراضي من الطبقة الإقطاعية التي تمثل وسائل الإنتاج.- كانت الأراضي في تلك الفترة هي الوسيلة الرئيسية للإنتاج. - كانت تضم الأملاك الإقطاعية في هذه الفترة كل من أراضي المدن والقرى. - استغل الإقطاعيون الفلاحين الفقراء نتيجة ملكيتهم للأراضي خلال هذه الحقبة. - أدى ظهور النظام الإقطاعي إلى ظهور طبقات الأفراد في المجتمع ومن ثم ظهر مصطلح المجتمع

تتمثل أركان النظام الإقطاعي في ثلاث نقاط أساسية كالتالي:-

:المجتمع القروي:- يقصد بالمجتمع القروي الفئات التي عاشت على زراعة الأراضي واعتمدت على التعاون المشترك مع الناس ، ويقسم المجتمع القروي كما يلي:-- أولاً :

الفلاحون:- انقسم الفلاحون إلى عدة فئات : أ.

الأحرار:-هم الفلاحون الذين يمتلكون الأراضي الزراعية، ولا يقع عليهم أي قيود أو التزامات اتجاه الإقطاعيين.ب.

العبيد:- هم الأشخاص الذين كانوا يعملون في منازل الإقطاعيين سابقاً ثم أصبحوا يعملون في زراعة الأراضي.

ج. الاقنان:- الأشخاص الذين كانوا من الأحرار ثم نتيجة للظروف المعيشية أصبحوا من العبيد.-

ثانياً : القرية:- ويقصد بها المكان الذين كان يعيش فيه الفلاحين.

- ثالثاً : فلاحة الأرض:- الطريقة المستخدمة في زراعة الارض

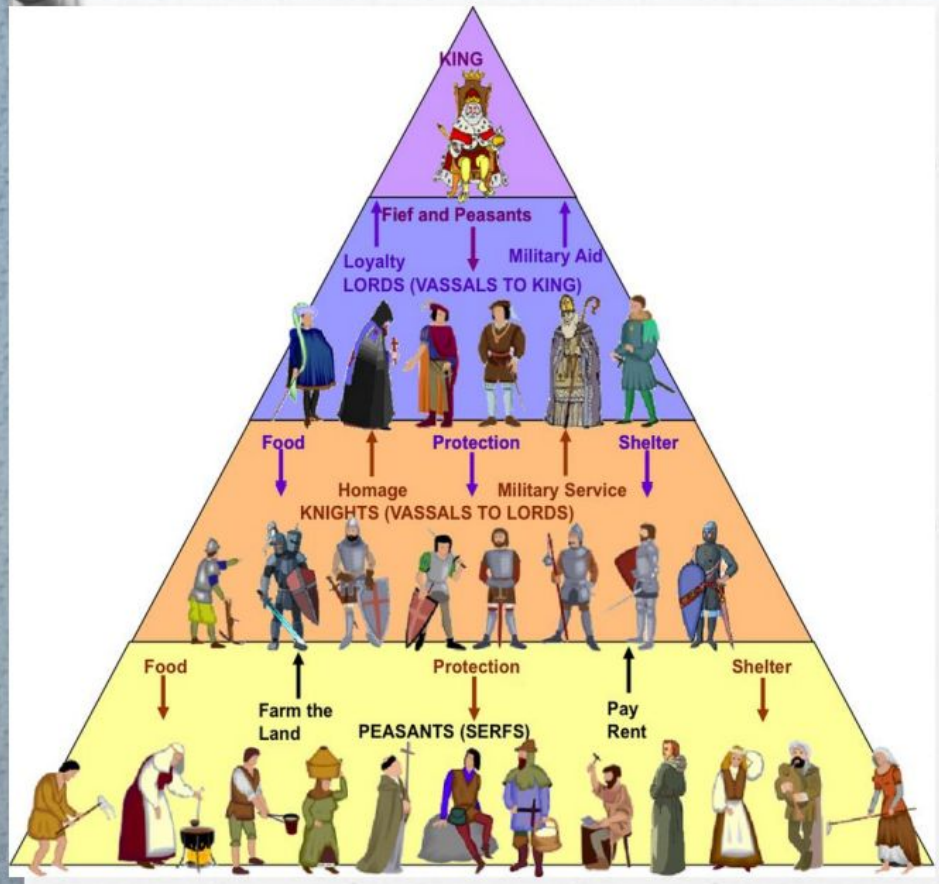

- نظام الدومين:أ. أحد أركان النظام الإقطاعي ويقصد به السيد المالك.ب. قسم هذا النظام الأراضي الزراعية إلى قسمين، الأول يعود إلى مالك الأرض والآخر يقدم للفلاحين نتيجة جهودهم .

التنمية الزراعية ، وقبل كل شيء ، بعد نهاية الإمبراطورية الرومانية. بعد الغزوات البربرية ، عادت نوى الإسكان مرة أخرى إلى مجتمع ذي أهداف اقتصادية.

استفاد هذا المجتمع من قرب هذه المستوطنات من الموانئ والطرق التجارية المهمة لتعزيز الاقتصاد المحلي. بشكل عام ، حضر الفلاحون هذه المدن لبيع أنواع مختلفة من الطعام ، كما جاء الحرفيون لعرض المنتجات المصنعة.

-مع توسعها ، اكتسبت مدن القرون الوسطى بنية اجتماعية ، وأفسحت المجال لظهور النظام الإقطاعي النموذجي للعصور الوسطى وتميزت بالنماذج المعمارية التي شكلت علامة فارقة في تاريخ الحضارة.

- كمقرات دينية ، ولكن ذلك شيئًا فشيئًا بدأ في إعادة التوطين. وهكذا ، في أوائل القرن الحادي عشر وأثناء القرن الثاني عشر ، تم إنشاء مدن جديدة ذات أصول مختلفة.

كان حجم هذه المساحات في العصور الوسطى صغيرًا جدًا ، حيث كان بالكاد ثلاثة أو ثمانية آلاف نسمة. ومع ذلك ، فقد كانت ظاهرة تاريخية ذات أهمية كبيرة للعالم ومثلهم العليا في التنظيم تختلف عن المستوطنات في المدن أو القرى.

-نظرًا للخصائص الحضرية التي كانت تمتلكها مدن العصور الوسطى - مثل قربها من الموانئ وطرق التجارة المهمة - فقد تشكلت لصالح المنفعة الاقتصادية ، فأصبحت مركزًا للإنتاج وتبادل السلع.

وكان الفلاحون الذين يترددون على هذه الأماكن أكثر من كانوا يبيعون كل أنواع الطعام. والحرفيين الذين قدموا منتجات مصنعة مثل الأدوات والملابس والسيراميك.

بهذه الطريقة نشأت ثقافة متخصصة في العمل ، ومثّلت بدورها باب هروب لأولئك الفارين من قمع الإمبراطوريات القديمة.

-كانت مدن العصور الوسطى تعتبر وسيلة للوصول إلى حياة أفضل وخلال أوجها نشأ شعار "هواء المدينة يجعله حرً

من المظاهر الاجتماعية والمدنية في العصور الوسطى نجد ظهور المدن الاوربية

كانت السمة البيئية الرئيسية لمدن العصور الوسطى هي قربها من الموانئ والمناطق التجارية ، بسبب وظيفتها الاقتصادية الكبيرة.

بالإضافة إلى هذه الخاصية ، كانت ميزات مدن العصور الوسطى في معظم البلدان الأوروبية متشابهة دائمًا ، لدرجة أنها أنشأت نمطًا:

- تم وضعهم في أماكن يصعب الوصول إليها. بشكل أساسي ، تم إنشاء مدن العصور الوسطى على التلال أو الجزر أو الأماكن القريبة من الأنهار لدرء الأعداء.
- كانت محاطة بأسوار عظيمة. كان الهدف الحماية والدفاع ، حيث تم تحصيل الضرائب على البضائع التي تدخل عند أبواب الدخول. كان لديهم ساعات فتح وإغلاق.
- شوارع حرة حركة المرور. كانت الطرق العامة عبارة عن أزقة ضيقة تربط وسط المدينة بنقاط الدخول والخروج. كانوا يسافرون سيرًا على الأقدام ، وعلى الرغم من أن التربة كانت موحلة و / أو مرصوفة بالحصى في البداية ، فقد تم رصفهم شيئًا فشيئًا.
- السوق. كان هناك نوعان: المساحة المخصصة تحديداً في مربع في وسط المدينة والأخرى التي تم نشرها عبر الشوارع الرئيسية.
- الأديرة. كانت مدنًا صغيرة احتلتها تلك التابعة لنظام ديني ، ولكن كان عدد سكانها ضئيلًا أيضًا من الحرفيين والعمال.
- ساحة الكنيسة. في الهواء الطلق ، كانت مساحة للاجتماعات أو المواكب الدينية أمام الكنيسة الرئيسية.

من ناحية أخرى ، كانت المنازل في المدن شاهقة ، بثلاثة طوابق موزعة في القاعدة عن طريق محل تجاري والطابقين التاليين للمنزل. تم بناؤها من الخشب.

في وسط المدينة ، بالإضافة إلى المباني المهمة ، كان هناك أيضًا القصر الجماعي - أو قاعة المدينة - والكاتدرائيات والقصور الأسقفية وقصور وميادين التجار الحضريين حيث احتفلوا أسبوعيًا وشهريًا و / أو سنويًا بمعارض لكل شيء عامة.

على السطح الخارجي للجدار ، تم تحديد ما يسمى بـ "الضواحي" ، وتلك التجمعات للمنازل التي لم تتمكن من الدخول ، ولكن مع مرور الوقت تم تضمينها مع توسيع الجدران.

وبالمثل ، كان هناك عدد قليل من المدارس العلمانية خارج الأسوار ، وتم إنشاء الجامعات الأولى وبدأ بناء المستشفيات ، ولكن لم تكن جميع مدن العصور الوسطى بها هذه المباني.

وثائق و معلومات
العصور الوسطى في أوروبا

بنيت غالبية الجدران المحيطة بوسط مدينة دوبروفنيك القديمة خلال القرنين 14 و15، ولكن رُمم بعضها وأعيد بناءها وتعزيزها في القرن الـ17. كرواتيا

وطن الكونت دراكولا. مدينة سيغيشوارا تدهش بجمالها الرائع الذي يعود إلى العصور الوسطى. هذه مدينة رائعةمع تاريخ يمتد لألف عام يحافظ على قلعة سيغيسوارا الشهيرة - واحدة من أجمل القلاع المأهولة في أوروبا وأجمل مجموعة من الهندسة المعمارية في العصور الوسطى في رومانيا

ي كل عام ، تستضيف قلعة سيغيسوارا مهرجانًا لفن العصور الوسطى ،
وتصبح القلعة ثلاثة أيام في السنة مركزًا للسحرة والسحرة والسحرة

قلعة كورفين في رومانيا

قلعة ديفا في بريطانيا التي تعود للقرون الوسطى (والتي نشأت حولها المدينة التي تحمل الاسم نفسه) على تل مخروطي الشكل من أصل بركاني ، شاهق فوق أحياء المدينة اللاحقة. يعود أول ذكر مكتوب لها إلى عام 1269

قلعة راشنوف (الألمانية - روزيناو) في نظام التحصينات التي تحمي الطرق المؤدية إلى ترانسيلفانيا من الجنوب عبر ممرات الكاربات. هذه مدينة حقيقية من العصور الوسطى ، حيث يتم فتح منظر مذهل لمدينة Rasnovوالجبال من منصة المراقبة.

باريس- فرنسا

الحياة الفكرية

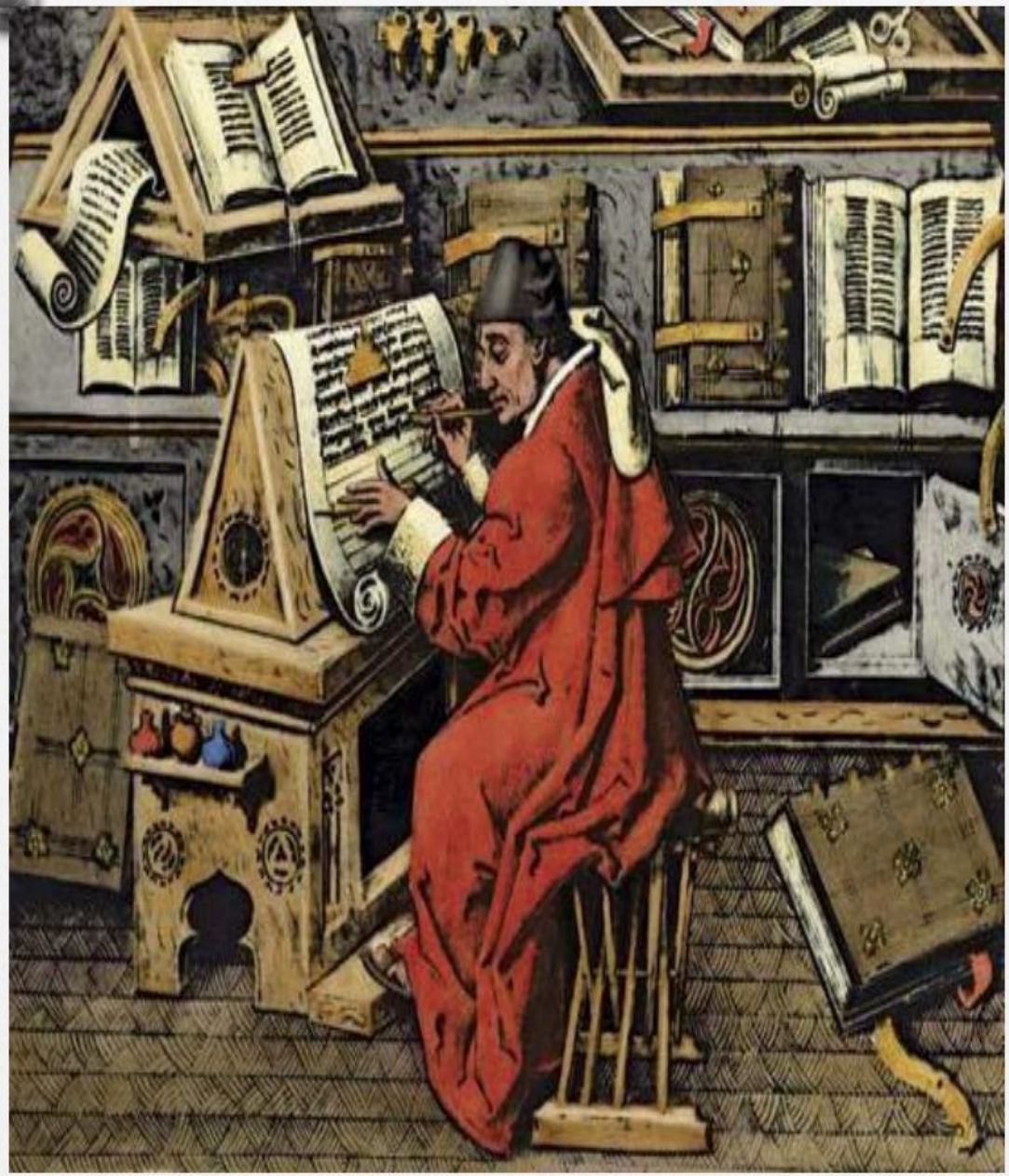

نظمت كنيسة الفترة على شرائع هرمية صارمة. على رأس وكان البابا - الحبر الروماني. وكان دولتها في وسط إيطاليا. في جميع البلدان الأوروبية، في إخضاع كان البابا الأساقفة ورؤساء الأساقفة. جميعهم من الإقطاعيين كبيرة ويمتلك الممالك كلها. وكان هذا غيض من المجتمع الإقطاعي. تحت تأثير الدين ومختلف مجالات النشاط البشري: العلم والتعليم والثقافة في العصور الوسطى. قوة هائلة تتركز في يد الكنيسة. أمراء والملوك، الذين هم في حاجة لها المساعدة والدعم، أمطر لها الهدايا والامتيازات، في محاولة لشراء مساعدتها والمكان. في الوقت نفسه الفلسفة الدينية وكان في القرون الوسطى على تأثير مهدئ الناس. سعت الكنيسة لتسوية الصراعات الاجتماعية

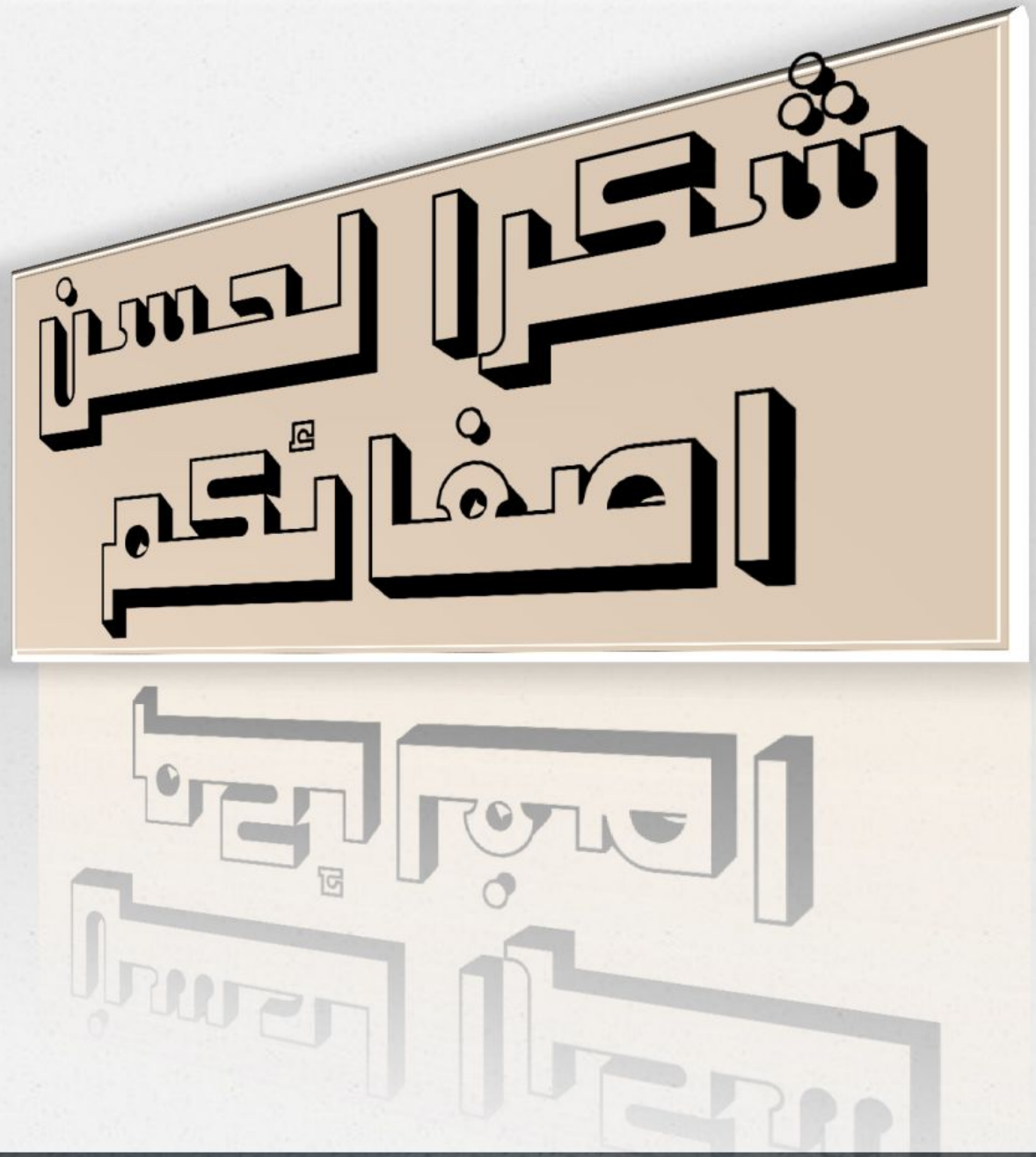
شكرا لحسن
اصغائكم

تاريخ العصور الوسطى

مدرس المادة: محمد مجيد / قسم التاريخ / كلية التربية للعلوم الانسانية / جامعة الحمدانية

عنوان المحاضرة

العلاقات الاقتصادية والاجتماعية في المدن

المدن –الصناعة– التجارة

الفصل الثاني

العلاقات الاقتصادية ـ الاجتماعية في المدن

المدن ـ الصناعة ـ التجارة

ـ المـدن الرومانيـة :

كان العمران المدني من أهم مهمات الأباطرة وأعظمها في القرنين الأول والثاني الميلاديين . وكانت ثروة المدن دليلاً واضحاً على الرفاه في عهد الامبراطورية العليا . ولقد تمتعت تلك المدن بحريّة ساعدتها على الاتساع والنمو ، كما أسهم في نموها الأمن الذي ساد آنذاك . وتزيّنت تلك المدن بالمباني العامة ، مثل أقواس النصر والمعابد والمدرجات والمسارح والحمامات والقصور التي تسكنها الارستقراطية المحلية . وفي ذلك العصر لم يتجاوز عدد السكان في معظم مدن أوروبا الغربية عشرة آلاف نسمة ، على الرغم من وجود مدرجات وملاعب فيها يستوعب الواحد منها (٢٤٠٠٠) من المشاهدين ، أما مدينة روما فقد بلغ عدد سكانها في القرن الثالث نحو (٤٠٠٫٠٠٠) نسمة ، وبهذا العدد تضاهي أو تفوق أكبر مدن الشرق مثل الاسكندرية وانطاكية وغيرهما .

كانت المدن الرومانية في عصر الامبراطورية العليا تشكل أوطاناً صغيرة مستقلة استقلالاً ذاتياً ، او مستعمرات تدار بحريّة تامة تحت رعاية الامبراطور . وكان سكان المدن يفخرون بمدينتهم ، كما كان الأغنياء منهم يبذلون المال بسخاء في تزيين تلك المدن .

وجاء القرن الثالث بالشؤم على العمران المدني . وقد حمل البرابرة قسماً من المسؤولية في حدوث ذلك الشؤم والانحطاط .

فالذعر الذي سببته الغارات البربرية الأولى في عامي ٢٥٧ ، ٢٧٥ دفع الغاليين الرومانيين إلى إحاطة المدن بالأسوار ، بعد أن كانت مفتوحة . وقد بدّل بناء تلك الأسوار منظر المدن . فبعد أن كانت آخذة بالاتساع في الامبراطورية العليا ، إذ بها تقتنص بسبب الغارات البربرية . وأدّى حصر المدن بالأسوار إلى التضحية بقسم من منشآتها العمرانية . ففي كثير من المدن بقي المسرح والملعب خارج السور ، وكذلك بعض القصور (الفيلات) التي يسكنها الارستقراطيون ، إذ أنها كانت تبنى غالباً في أطراف المدن . وبنتيجة ذلك أصبح منظر المدن كئيباً ، كما تألمت الحياة الداخلية فيها من هذا التحول .

كذلك طبعت الكنيسة المسيحية المدن بطابعها الخاص ، بعد أن انتشرت الديانة المسيحية فيها . وبينما كانت الحياة البلدية تشرف على الأفول وتغادر الارستقراطية المدن ، كانت تلك المدن تستقبل العبادة المسيحية الجديدة . بعد ذلك أضحى أساقفة المدن حماة لها يدافعون عنها ضد الغارات البربرية . وعندما رأى الرومانيون أن أباطرتهم قد تخلّوا عنهم ، التمسوا ملاذاً لدى البابا والأساقفة لتنظيم الدفاع عن مدنهم ضد الغزاة البرابرة .

كانت المدن في العصر الروماني مراكز أساسية لتموين الريف والمناطق المجاورة بالمنتوجات الصناعية . ولكن بدءاً من القرن الرابع بدأت المدن تفقد مكانتها كمراكز رئيسة للصناعة والتجارة والتبادل ، حيث أخذت تنشأ في القرى صناعات ريفية تكاد تكون كافية لسد الحاجات المحلية ، فتضاءلت بنتيجة ذلك حاجة الريف إلى مصنوعات المدن . كذلك ساءت نوعية المصنوعات ذات الاستعمال الواسع ، إذ أدى افتقار الفلاحين وتحول معظمهم إلى كولون إلى انحطاط في نوعية المصنوعات الضرورية لهذه الطبقات الفقيرة ، حتى ولو كانت مصنوعة في المدن .

وكانت إدارة المدينة ملقاة على عاتق أعيانها ، فالتزمت فئة منهم تسمى « الكوريال » (وهم موظفو البلدية) بمسؤولية جباية الضرائب المقررة على المدينة وما جاورها من القرى . وانتظم صناع المدن وتجارها في نقابات مهنية كلاً حسب مهنته . وكان لكل نقابة رئيس منتخب أو معين يشرف على تنظيم أمور النقابة وتنفيذ الواجبات الملقاة على عاتقها . وفرضت الدولة على أعضاء النقابات ضريبة مالية وواجبات أخرى متنوعة ، كتقديم حصة من إنتاجهم للدولة ، أو تنفيذ بعض الأعمال دون أجرة . ومن ناحية أخرى خصّت الدولة تلك النقابات ببعض الحقوق والامتيازات ، كحماية مصنوعاتهم المحلية من المنافسة وغير ذلك . وكان عمال مصانع الدولة (كمصانع السلاح والنقود) معفيين من ضريبة الرؤوس ، لكنهم مرتبطون بمهنتهم مدى الحياة ، ويوسمون بالحديد المحمّى على أيديهم ، ليعرفوا في حال هربهم ويعادوا إلى أماكن عملهم من قبل السلطات .

منذ القرن الثالث الميلادي بدأت المدن بالانهيار ، وأخذ الريف ينفصل عن المدينة، كما لجأ إليه كبار الملاكين فاستقروا في ضياعهم وأملاكهم الزراعية .

وكان كبار الملاكين من الموظفين الكبار أو من سلالة القادة العسكريين ، لذلك تمنّعوا عن دفع الضرائب المفروضة على أراضيهم ، أو دفعوها منقوصة ، مما أدى إلى إفلاس خزائن المدن وانهيارها . كذلك أقام هؤلاء الملاكون الكبار المصانع الخاصة في ضياعهم لسدّ حاجاتهم ، وكانت تعرف باسم « جينيسيا » Genecea

وعمل في تلك المصانع العبيد فأنتجت من السلع ما جعل أهل القرى يستغنون بها عن مصنوعات المدن .

وكلما تداعت الصناعة في المدن حل مكان التاجر (صاحب المهنة) بائع متجول . ولم يمتهن التجارة إلا فئة قليلة من السكان المحليين . وفي زمن الغزوات البربرية الجرمانية أضحت فئة التجار في الغرب الأوروبي من الأجانب ، وبخاصة السوريين واليهود ، الذين كانوا يمارسون تجارة الرقيق والتحف والتوابل والعطور وأدوات الترف الواردة من الشرق ، والتي لم يقبل على شرائها سوى الملوك والأمراء وكبار الموظفين والملاكين (٣) .

لقد كان للحضارة الرومانية القديمة طابع عمراني وصناعي وتجاري . وتلك الحضارة التي تفتحت في القرن الثاني الميلادي في عهد الامبراطورية العليا ، كانت في الواقع حضارة شرقية . ففي إغريقية (اليونان) وأيونيا وسورية ومصر ازدهرت المدن وتوطدت حضارتها بفضل الملكيات الهيلينستية . وفيما بعد قلدت روما تلك الملكيات ونقلت فن العمران المدني إلى الغرب الأوروبي ، فحوّلت قراه البدائية في إيطاليا وغاليا وإسبانيا إلى مدن غنية مأهولة بالسكان . كان ذلك الجهد عظيماً ، لكنه اصطناعي ، وعيبه أنه كان متأخراً ومنصبّاً على توسيع العمران المدني . ولم يعش ذاك الرفاه الاقتصادي بعد الظروف الاستثنائية التي تمتعت بها الامبراطورية الرومانية في ظل الأباطرة الأنطونيين . فعندما زالت تلك الظروف السعيدة في القرن الثالث الميلادي ، حل الانحطاط سريعاً وبدا التباين بين الغرب الآخذ بالأفول ، والشرق الذي ظل محافظاً على اقتصاده العمراني التقليدي القديم منذ قرون عديدة .

إن الاختلاف بين الغرب والشرق كان موجوداً قبل الغارات البربرية الجرمانية وقبل الفتح العربي الإسلامي . أما العوائق التي وضعها الفتح العربي الإسلامي في طريق الملاحة الأوروبية في البحر الأبيض المتوسط فلم تكن إلا وقتية ، كما لم يكن لها تلك النتائج التي استخلصها هنري بيرين ، وهي لم تزعزع اقتصاد العالم الغربي لو لم يكن هذا الاقتصاد مثلحقاً بالشرق منذ عصور مديدة . ذلك أن مطالب السكان المدنيين في إيطاليا وغاليا وضرورة تموينهم بالحبوب ، لم تكن لتتأمن إلا باستيرادها من آسيا ومصر وشمال إفريقية . كما أن روما كانت مدينة طفيليّة لا تستطيع أن تعيش على مواردها الخاصة وموارد البلاد المجاورة لها التي حاصرها الفتح العربي الإسلامي ، الذي حكم على أوروبا الغربية بالانطواء على نفسها وجعلها تعتمد على اقتصادها الزراعي . وقد أدى انحطاط الغرب الأوروبي وعدم قدرته على الاستغناء عن باقي أقاليم الامبراطورية الرومانية ، وبخاصة الشرق ، إلى السقوط الذي وصفه بيرين .

إن توسع نفوذ الدولة الرومانية بأخذ كل شيء على عاتقها كانت له فوائده

من الناحية السياسية ، لكنه أدى بالمقابل إلى تفاقم الأزمة الاقتصادية . لقد كانت الضرائب باهظة ، لذا هجر الأغنياء المدن وتهدمت الطبقات الوسطى ، كما قامت الثورات وحركات العصيان بسبب التكاليف الساحقة التي تثقل كاهل الفقراء .

وكذا أدى عدم الأمن الناجم عن أعمال السلب والغارات البربرية الأولى إلى جعل المواصلات الداخلية في خطر وشلّ حركة التجارة . وعلى هذا النحو أصيبت حياة المدن بفقر دم شديد أدى بها إلى الإعياء والتقلص والانحطاط . ومن علائم ذلك الانحطاط سيْرُ الذهب في اتجاه الشرق ؛ واستيراد الغرب دون مقابل يعوض ما دفعه من معدن ثمين . لقد لوحظ ذلك في آخر القرن الرابع الميلادي ، إذ سجّل سيماك محافظ روما ندرة الذهب في أحدى رسائله . واتخذ أباطرة القرن الثالث بعض التدابير لتخفيض قيمة النقد المتداول ، كخلط الذهب بمعادن رخيصة . لكن تلك التدابير أدت إلى ارتفاع الأسعار ، كما تؤدي عادة تدابير التضخم النقدي . وحاول الامبراطور ديوكليسيانوس عبثاً (٢٨٥ ــ ٣٠٦) إيقاف ارتفاع الأسعار بإصدار مرسومه الشهير « المرسوم الأعظم » . كذلك اتخذ تدابير أخرى لتأمين التموين بالمواد الغذائية . وكل ذلك يدل على اقتصاد متعب عاجز عن أن ينجو بوسائله الخاصة .

لقد استولى ملوك البرابرة على المعادن الثمينة التي وجدوها في مدن الامبراطورية الرومانية في أثناء فتوحهم ، فواظبوا على ضرب النقود الذهبية . وهناك وقائع تدل على أن المعاملات التجارية بين الغرب والشرق ظلت باقية بعد الغارات البربرية كما كانت في السابق . وكانت تلك المعاملات تجري على أيدي التجار السوريين واليهود . كذلك كانت المعاملات التجارية بين المملكة الفرنجية الميروفنجية والشرق تتم في ميناء مرسيليا . وكذا حافظت إيطاليا في عهد القوط الشرقيين على علاقاتها التجارية مع بيزنطة .

وظل البرابرة محافظين على عادات الامبراطورية الرومانية القديمة ، ولم يتبدل البناء الاقتصادي في أوروبا الغربية بسبب الغارات البربرية . غير أن تلك الغارات أحدثت هزة عنيفة زعزعت كيان الامبراطورية الرومانية ، وادت إلى حدوث تبدلات

في الحياة المدنية والحياة القروية . لكن تلك التبدلات كانت بطيئة ولا يشعر بها ، إلا أنها كانت عميقة . وعندما جاءت الغارات العربية الإسلامية بدورها لتجرف العالم القديم ، قام اقتصاد جديد في أوروبا الغربيـة ، وهو اقتصاد العصـر الوسيط (الاقتصاد الزراعي) . ولم يقم ذلك الاقتصاد فجأة ، بل ان الأرض التي إنبتته كانت مهيأة لقبوله منذ امد بعيد (٣) .

ـ المدن في العهد الميروفنجي :

في أثناء الغارات البربرية الأولى تهدمت بعض المدن مثل ماينس وكولونيا ، لكنها نهضت من جديد في القرن السادس . أما المدن القديمة الأخرى فقد ظلت على حالها حية باقية . ولكن لم تظهر أية مدينة مهمة في العصر الميروفنجي . كانت مدن ذلك العصر صغيرة ، ومثلها المـدن التي يسكنها الملوك ومنها : باريس ، أورليان ، سواسون ، رنس ، متز . ولم تزد مساحات تلك المدن خلال مدة طويلة امتدت من آخر القرن الثالث إلى آخر القرن الحادي عشر .

كان يغلب على تلك المدن الطابع الريفي . ففيها توجد حدائق وكروم ، وفي شوارعها تطوف أسراب الخنازير والبقر والطيور . ولم تستطع تلك المدن أن تتسع خارج السور ، كما كانت متكاثفة على نفسها وتلتصق منازلها ببعض . وكان سكان تلك المدن قلائل لا يتجاوز عدد نفوس أكبرها عشرة آلاف نسمة . وأكثر المدن تراوح عدد سكانها بين ٢٠٠٠ و ٥٠٠٠ نسمة . كان جوها خانقاً ومنظرها حزيناً ، لذا كان الملوك والأمراء يفضلون أن يعيشوا في أملاكهم الريفية .

لم يكن لتلك المدن مجلس بلدي ، وزوال هذا المجلس كان مرتبطاً بالحياة الاقتصادية التي جعلت منها جسداً بلا روح ، حتى إن الكونت جعلها مقراً عادياً له وأخذ يديرها كما يدير الريف بصورة استبدادية . غير أن شخصية أخرى أخذت تحل محل الكونت وهي الأسقف ، لأن سلطته الروحية وثروته جعلت منه مواطناً أصلياً في المدينة ، حتى إن المدينة في آخر العصر الميروفنجي أصبحت بكاملها بين

يديه ، ولم يبق للكونت نفسه مكان لسكناه . وإذا صرفنا النظر عن الفئة الموسرة ، التي تضم عدداً قليلاً من التجار أكثرهم أجانب ، وجدنا سكان المدينة صناعاً فقراء يعيشون على توصيات الكونت والأسقف وبعض الموسرين .

وصفوة القول إن الحياة الاقتصادية في العصر الميروفنجي كانت تسير على خطا الحياة الاقتصادية في الامبراطورية الرومانية الراحلة ، وإن الاقتصاد كان في تدهور مستمر منذ القرن الثالث الميلادي ، والعصر الميروفنجي نفسه يتمم انحطاطاً سابقاً . فامتداد المدن لضعيف وزوال الحياة المدنية ، وفقدان العاصمة أو المدن الجديدة ، كل هذا يدل على أن الحياة الاقتصادية لم تنهض منذ القرن السادس حتى القرن الثامن .

وإذا قلنا بوجود تجارة دولية وصناعة وطبقة تجار ممتهنين ، فما من شك في أن حجم المبادلات كان قليلاً جداً . فمدينة مارسيليا التي كانت ملاحتها تربطها بالفسطنطينية وسورية وشمال إفريقية ومصر وإسبانيا وإيطاليا ، ظلت مدينة صغيرة يبلغ محيطها ٢٥٠٠ متر ، وعدد سكانها يتراوح بين (٨٠٠٠ و ٩٠٠٠) نسمة . ومن المحتمل أن ملاحة مارسيليا كانت تقتصر في كل سنة على إرسال أسطول صغير يتألف من سفن قديمة قليلة المحمول . أما تجارة البذخ فهي بالضرورة متباعدة ولا تمثل وزناً ضخماً من السلع . وفي الحقيقة ان الرأسمال كان في بدء تكونه ، والتجارة الميروفنجية لا تدل على النظام الرأسمالي إلا من بعيد (٤) .

ـ المدن في العهد الكارولنجي :

عندما بسطت روما سلطانها على عالم البحر المتوسط ، اتخذت المدينة أساساً للنظام الإداري في الامبراطورية . وقاوم هذا النظام الغزوات البربرية الجرمانية ، كما ظلت معالمه وآثاره باقية بعد القرن الخامس في غاليا وإسبانيا وإيطاليا . لقد حرص المغيرون الأوائل ، أمثال القوط والفرنجة على المحافظة على النظم الرومانية ، ومنها مجتمع المدينة . وظلت غاليا في زمن الفرنجة الميروفنجيين محافظة على حضارتها الرومانية ، على الرغم مما تعرضت له من تخريب على أيدي الغزاة الأوائل . لقد

تقبل الفرنجة الجرمانيون القوانين الرومانية والعقيدة الرومانية الكاثوليكية ونظام الإدارة المدنية ، كما حافظت غاليا الميروفنجية على النقد والنظام المالي الروماني . وظلت مدن غاليا الميروفنجية إلى حدٍّ ما مراكز تجارية وأسهم التجار إلى حدٍ كبير في نمو المدن . أما في زمن الكارولنجيين فلم يبق شيء من هذا القبيل .

إن ما تعرض له النظام الاجتماعي من الضعف المستمر قضى على خصائص المدينة . وعند حلول القرن الثامن اختفى ما يعرف بأسماء :

« أعيان المدينة » Decuriones ، أو « دار وثائق المدينة » Gesta municipalis

أو « حامي المدينة » Defensor Civitatis .

ففي العصر الكارولنجي لم تعد المدينة مركزاً تجارياً يموّل بالبضائع سكان القرى المجاورة لها ، كما لم يكن لسكانها طابع سكان المدن الذي كان معروفاً في زمن الميروفنجيين . فالدولة الكارولنجية التي قامت على أساس زراعي لم يكن لديها من الدوافع ما يجعلها تهتم بمصير المدن . ومن المعروف أن قصور الأمراء الكارولنجيين لم تقم في المدن ، وإنما قامت في الريف . أما شهرة مدينة إكس لا شابل فترجع إلى أنها كانت المقر الأثير عند الامبراطور شارلمان ، ولذا فإن أهميتها لم تلبث أن تداعت بعد حكم لويس التقي ، ولم تسترد مكانتها إلا بعد أربعة قرون .

في العصر الكارولنجي عاش المجتمع على الاقتصاد الزراعي . ومن أهم خصائص ذلك الاقتصاد الضيعة التي تكفي نفسها بنفسها من المنتوجات الزراعية والمصنوعات المحلية . وفي ظل اقتصاد كهذا يتعذر تلمس آثار الحياة المدنية . فاذا كان المقصود بالمدينة موضعاً يمارس سكانه الصناعة والتجارة ، فيصح القول إن المدينة لم تكن قائمة في العصر الكارولنجي . وإذا كان المقصود بالمدينة مجتمعاً له شخصيته القانونية ونظمه الخاصة ، فلم يكن للمدينة وجود بهذا المعنى . أما إذا كان المقصود بالمدينة مركزاً للادارة أو حصناً للدفاع فقد كانت هنالك مدن عديدة من هذا النوع في العصر الكارولنجي (٥) .

ـ المدن الأسقفية :

في العصر الكارولنجي أضحت مدن أوروبا الغربية إمّا مراكز أسقفية أو حصوناً عسكرية دفاعية . لقد فرض النظام الكنسي على الأسقف الإقامة الدائمة في المدينة التي بها مقر أسقفيته في الكاتدرائية التي تُعدّ مركزاً للادارة الدينية لكلّ الأبرشية التي تشتمل على المدينة القرى الواقعة حولها . ازدادت مكانة رجال الدين منذ زمن الميروفنجيين، فحازوا امتيازاتٍ تتعلق بالقضاء وجمع الضرائب، كما حصلوا على براءات ملكية تحرروا بها من تدخل الكونتات في إدارة المدن والضياع الواقعة داخل ممتلكات الكنيسة . وورد في إحدى براءات شارلمان ما يلي :

« لا تجعل موظفاً عاماً يجرؤ على أن يتدخل بقصد الاستماع إلى الدعاوى أو تحصيل الغرامات ، وما حصلت عليه الخزانة العامة حتى الآن من أرباح من الرجال الأحرار والأرقاء وسائر الطبقات ، ينبغي أن يصير إلى خزانة الكنيسة » .

وبفضل ما امتلكت الكنيسة من مساحات كبيرة من الأراضي ازداد جنوحها إلى أن تصبح دولة داخل الدولة . فالأسقف الكارولنجي صار يحكم جنباً مع الكونت ، ومحكمة الأسقف أخذت تنظر فيما يرتكب من جرائم ضد الأخلاق والدين ، في حين لا تنظر محاكم الدولة العامة في قضايا رجال الأسقف ، إلا إذا رفض الأسقف أو ممثله النظر في تلك القضايا . والمعروف أن محكمة الأسقف تنعقد في مقر إقامته . ولما اختفت التجارة في القرن التاسع ، وتحطمت كل آثار حياة المدن وخلت من معظم السكان اتسع نفوذ الأساقفة ولم يعد ثمة من ينافسهم ، فأضحت المدينة منذئذٍ خاضعة بأسرها للأسقف .

واحتفظت المدن في زمن شارلمان بالشكل الذي كانت عليه في زمن الامبراطور قسطنطين الأول . لقد اتخذت تلك المدن شكل مربع أو مستدير يحيط به سور له أبراج ويتصل بالخارج بأربعة أبواب . وصُنعَ السور من جذوع الأشجار الطويلة أو من الطين أو من الكتل الحجرية . وخلْفَ السور من الخارج حُفر خندق عميق

وتشكل سكان المدن الأسقفية من رجـال الدين العاملين في الكاتدرائية والمعلمين والتلاميذ بالمدارس الكنسيّة ، يضاف إلى هؤلاء الخدام والعمال من الأحرار والأقنان الذين لاغنى عنهم لتأمين حاجات رجال الدين .

وجرت العادة أن تقام في كل مدينة أسقفية سـوق" أسبوعية يحمل إليها الفلاحون من الأرياف ما لديهم من منتوجات لبيعها . وفي بعض المدن كانت تقام سوق سنوية كبيرة . وعلى أبواب المدينة يجري تحصيل العوائد التي يؤديها كل بائع يدخل إلى المدينة . وتقوم بداخل الأسوار بعض الأبراج التي يقيم بها الأسقف ومعاونوه وقائد الحصن (القسطلان [لفظة قسطلان محرّفة من الكلمة اللاتينية Castellum التي تعني الحصن] .

وفي أماكن خاصة بالمدينة توجد الأجران والمستوعات والمخازن التي يحمل إليها الفلاحون والمستأجرون حصة الكنيسة من محاصيل ضياعها . وفي الأعياد الدينية السنوية يهرع إلى المدينة سكان الأبرشية من الضياع المجاورة ، فيزداد النشاط فيها ويكثر الضجيج بضعة أيام .

هذا العالم الصغير قَبِلَ الأسقفَ رئيساً روحياً وزمنياً ، فاجتمعت في شخصه السلطتان الروحية والدنيوية . وبمساعدة مجلس مؤلف من القساوسه يتولى الأسقف إدارة المدينة والأبرشية Dioces وفقاًللتعاليم المسيحية . وتنظر محكمة الأسقف في القضايا الدينية والمدنية . وكانت للأسقف قوة من رجال السرطة يضبط بوساطتها الأسواق وتحصيل الضرائب . وحرص الأسقف على الاهمام ببناء سور المدينة وترميمه ، وإقامة الجسور على الأنهار المارة في ممتلكات أبرشينه . فالمدينة

ـ المـدن العسكرية (الحصون) Burgus :

في منتصف القرن التاسع انقسمت امبراطورية شارلمان الكارولنجية إلى أقاليم عديدة يحكمها الكونتات ، الذين استقلوا بالسلطة في أقاليمهم وجعلوا مناصبهم وراثية ، و لايربطهم بالتاج الملكي سوى يمين الولاء . ولم تكن سلطة الدولة المركزية من القوة ما يجعلها تقاوم ذلك التفكك الذي تمّ بالعنف والإكراه . لكن هؤلاء الأمراء الذين استقلوا بالسلطة في أقاليمهم التزموا بحماية ممتلكاتهم وسكانها من المغيرين المسلمين والشماليين والأمراء المجاورين . وعلى هذا اضطروا إلى إقامة مواقع دفاعية حصينة ، وصار يطلق على كل منها من الألفاظ مايدل على أنه حصن ، سواء كانت الألفاظ مستمدة من اللاتينية مثل Castrum ، Castellum أو مـن الألمانيـة Burgus .

وكانت تلك المدينة الحصينة عبارة عن دائر مسوّر يحيط به خندق . ومن هذا الدائر جاء اسم المدينة عند الانكليز (Town) وعند الروس (Gorod) . وفي داخل الدائر (النطاق) قام برج متين وقلعة أو حصن استقرت به حامية من الفرسان يتولى قيادتهـا نائب الأمـير الذي يدعى القسطلان (قائـد القلعـة Castellan) . وفي كل قلعة دار للأمير ، وكنيسة تلحق بها منازل لرجال الدين ، يضاف إلى ذلك مبني يتخذ مكاناً للمحاكم التي تنعقد في أوقات معينة ويأتي إليها أعضاء المحكمة والمتداعون من خارج القلعة . وفي القلعة أماكن خاصة للأجران والمستودعات والمخازن التي تحفظ فيها المحصولات التي تكفل معيشة سكان القلعة .

ـ نشوء التجارة وتشكل طبقة التجار :

قام المجتمع الأوروبي في العصر الكارولنجي على الاقتصاد الزراعي ، حيث كانت الأرض المصدر الأساسي للثروة ، والزراعة الصورة العامة للعمل . على أنه كان للزراعة صفة تجارية . فالفائض عن الاستهلاك من المنتوجات الزراعية كان يبيعه الفلاحون في أسواق المدن الأسقفية ومدن الحصون ، وهذا البيع أدى إلى ظهور عمليات تجارية ضئيلة الحجم . ولكن لم يوجد من التجار المحترفين الذين يمتهنون البيع والشراء سوى بعض الأفراد من السوريين واليهود والايطاليين ، الذين تاجروا بالتوابل والمنسوجات الحريرية وغيرها من منتوجات الشرق ومصنوعاته .

وفي القرن العاشر تخلى الشماليون السكندينافيون عن أعمال الغزو والنهب واهتموا بالأعمال التجارية ، فتمّ بفضلهم اتصال شمال أوروبا بالامبراطورية البيزنطية والدولة العربية العباسية . أما في الجنوب فقد تابعت البندقية نشاطها التجاري الموروث مع الموانىء البيزنطية والعربية الواقعة على شواطىء البحر المتوسط ، وبذا نهض في شمال أوروبا وجنوبها مركزان تجاريان بفضل جهود السكندينافيين والايطاليين

ومنذ القرن العاشر أخذت تظهر في داخل القارة الأوروبية طبقة من التجار المحترفين الذين جرى انتزاعهم من العناصر الفائضة في الحياة الزراعية . هؤلاء العناصر دفعهم حرمانهم من الأرض أن يؤجّروا أنفسهم في أعمال مختلفة ، فاشتغلوا بحارة أو حمالين أو عملوا في المراكب التجارية . وكان بين هؤلاء من اشتهر بالتجربة والخبرة ومعرفة اللغات الأجنبية . فإذا أصاب الواحد منهم ربحاً ضئيلاً حرص بمهارته وخبرته على أن ينمّيه ويستكثره . وهكذا ظهرت بين هؤلاء طبقة من التجار دون أن يكون لديها في البدء رأسمالٌ . وتولّى كثير من هؤلاء التجار المتاجرة ببضائع لم يدفعوا ثمنها ، وإنما اقتسموا الأرباح مع أصحاب السلعة . ولم يمض إلا زمن قصير حتى ظهرت من بين هؤلاء المغامرين الجائلين فئة من التجار الأغنياء المحدثين .

كره النبلاء الاقطاعيون هؤلاء التجار الأغنياء المحدثين وأنكروا عليهم ما أصابوه من أرباح كبيرة فاقت أموالهم • وكانت فكرة احتقار الاشتغال بالتجارة قد تأصّلت عند النبـلاء الاقطاعيين باستثناء ما حدث في إيطاليا من إقبـال الأسر الارستقراطية النبيلة على استثمار أموالها في العمليات التجارية • أما الكنيسة المسيحية فقد نظرت إلى العمل التجاري كمصدر خطر على سلامة الروح ، وعدّت التجارة شكلاً من أشكال الربـا المرفوضة في الشرع المسيحي • وأما القانون الاقطاعي ، الذي جعل الانسان حرّاً ما لم يكن تابعاً لسيد ، فقد عَدّ التجار أحراراً ، على الرغم من أن معظمهم كانَ من أبناء الأرقاء • لكن هؤلاء التجار انتزعوا أنفسهم من الأرض التي نشأوا فيها وأخذوا يطوفون في أنحاء البلاد دون أن يطالب أحد بتبعيتهم له • ولم يطالب هؤلاء التجار بالحرية ، بل جاءتهم الحرية عفواً ، إذ حصلوا على الحرية بحكم العادة والمدة القانونية •

ـ استقرار التجار في المدن :

وحتّم نظام التجارة الناشئة على التجار أن يستقروا في مواضع معينة في الفترات الواقعة بين رحلاتهم • ومن الطبيعي أن يتخذوا لإقامتهم الأماكن التي اشتهرت بسهولة المواصلات ، والتي يطمئن التجار فيها على أموالهم وسلعهم • وعلى هذا لجأ التجار إلى المدن الأسقفية ومدن الحصون التي تسدّ حاجاتهم •

في أول الأمر أقام التجار في ساحات المدينة وبساتينها داخل الأسوار • ولما ضاقت بهم البقاع داخل السور أقاموا في خارجه ، إذ أقام القادمون الجدد لأنفسهم ربضاً خارج المدن المسورة وشيدوا لهذا الربض سوراً جديداً من الخشب ، وفيما بعد سوراً من الحجارة يحيط به خندق •

ـ قدوم العمال والصناع إلى المدن الجديدة :

لم تكن الطبقة المتوسطة التي حلّت في أرباض المدن المحصّنة كلها مؤلفة من التجار الجائلين الذين سبقت الإشارة إليهم ، بل لابد أنها شملت أيضاً عدداً من العمال والصناع الذين يتولون شحن السلع التجارية وتفريغها وإعداد السفن وتجهيزها ، وصناعة عربات النقل والبراميل والصناديق ، وكل ما هو ضروري للتجارة • ومن الطبيعي أن يهرع إلى المدينة الناشئة من الأرياف المجاورة عدد كبير من الناس يسعون للعمل بمهنة أو حرفة ، وكلما تكاثر عدد سكان المدينة ازدادت حاجتها إلى عدد أكبر من العمال والصناع • وبما أنه كان لابد من تأمين احتياجات السكان الجدد من الغذاء واللباس ، فقد توافد من الأرياف المجاورة إلى المدينة الخبّازون واللحّامون وصانعو البيرة والحيّاك والخياطون وغيرهم • وهكذا

ـ نشوء الصناعة في المدن :

كانت التجارة عاملاً مهماً في تشجيع الصناعة • وحرص التجار على اجتذاب الصناعات من الأرياف إلى المدن وتوطينها فيها •• وتُعدّ منطقة الفلاندر خير مثال للتدليل على ذلك ، إذ أن صناعة القماش الصوفي ازدهرت في الريف منذ زمن بعيد • ونجح التجار في اجتذاب النساجين من القرى إلى المدن ، فترتب على ذلك أن فقد النساجون طابعهم الريفي وأضحوا مجرد عمال في خدمة هؤلاء التجار • ومن الطبيعي أن يتدفق على المدينة عدد كبير من الفقراء ، حيث كفلت لهم صناعة الأقمشة العمل والرزق • ومع ذلك كان هؤلاء العمال تعساء ، لأن ما جرى بينهم من تنافس من أجل الحصول على عمل ، حمل التجار على أن يمنحوهم أجوراً منخفضة •

ولم تلبث الصناعات الريفية أن اختفت ، إذ لم يكن بوسعها أن تنافس صناعات المدن التي توافرت لها المواد الخام وأفادت من طرق أكثر تقدماً • وحرص التجار أن تتوافر الجودة فيما يصدرونه من الأقمشة ، فلم يحل القرن الثاني عشر حتى صارت لتجار الفلاندر السيطرة على أسواق أوروبا الغربية دون منازع ، لما اشتهرت به منسوجاتهم من الدقة وجمال الألوان • وكانت صناعة الأقمشة أساس التجارة الأوروبية في العصور الوسطى • كذلك أُنشئت الصناعات الغذائية في كل مدينة تقريباً • أما الصناعات المعدنية فقد استيقظت بعد زمن طويل ، ويبدو أنها لم تغذّ التجارة الأوروبية إلا في وقت متأخر جداً •

القومونات

ـ القومون :

الاصطلاح « قومون » Commune يعني المدينة التي ارتبطت عناصر سكانها في حلف وحصلت على استقلالها عنْ طريق ثورة مسلحة •• إلا أن المؤرخين درجوا على إطلاق هذا الاصطلاح على جميع المدن التي تمتعت بنفوذ سياسي واسع • وعلى هذا نستطيع أن نعرف القومون بأنه المدينة التي تتمتع بالاستقلال السياسي والحكم الذاتي وفقاً لقوانين وتنظيمات تخدم مصالح الطبقة الوسطى من التجار والصناع ، ويختار أهلها حكامهم وموظفيهم بأنفسهم دون أن يكون هناك مندوب من قبل سيّد أو حاكم خارجي • أما التزامات القومون نحو السلطة السياسية العليا في الدولة ـ كالامبراطور أو الملك ـ فكانت محددة بمبلغ معين من المال يدفع سنوياً ، وقسطٍ معلوم من الخدمة العسكرية •

ومنذ منتصف القرن الحادي عشر قاد التجار الحركة القومونية ضد القوى السياسية والاقتصادية السائدة في الغرب الأوروبي المتمثلة بأساقفة المدن والنبلاء الاقطاعيين ، ومن خلفهم البابوية والسلطة الامبراطورية • وقد وصل ذلك الصراع ذروته في القرن الثاني عشر الذي شهد انتصار الحركة القومونية • فبعد أن كانت مطامح التجار أن تعترف الطبقة الأولى بشرعية وجودهم كطبقة متميزة لها أهدافها ومصالحها الخاصة ، أخذوا يطالبون باستقلال مدينتهم وأن تحكم نفسها بنفسها وفق أنظمة وقوانين تخدم مصالحهم ومستقبلهم •

طرق النقل التجارية

ـ الطرق البريـة :

اعترضت التجارة الأوروبية في العصور الوسطى عقبات أهمها ضعف وسائل المواصلات ، وصعوبة انتقال التجار ونقل البضائع من مكان إلى آخر • لقد اختفت الطرق الرومانية القديمة المرصوفة بالأحجار واستخدمت بدلاً عنها طرق ترابية تتعرها الأوحال عند هطول الأمطار • كذلك انهارت الجسور المقامة على الأنهار بنتيجة الإهمال • واستخدم التجار البغال والخيول في نقل البضائع ، وبعضهم استخدم عربات بدائية ذات دولابين أو أربعة دواليب • واهتمت الكنيسة بإنشاء الطرق وصيانتها ، إذ أعلنت أن رعاية الطرق من أعمال البر يجازى القائم بها بحسن الثواب والغفران • كذلك دأبت الحكومات الأوروبية في العصور الوسطى على تشجيع إنشاء الطرق وحمايتها من اللصوص وقطاع الطرق • وتجمع التجار على هيئة قوافل واستأجروا الحراس المسلحين لحماية قوافلهم وردع المعتدين • كذلك ارتبطت بعض المدن التجارية مع بعضها بعض في هيئة أحلاف لحماية تجارها وبضائعها ، كما فعلت مدن العصبة الهانزية (الهنسية) • ومع تطور التجارة ازداد عدد الفنادق والخانات على الطرق التجارية لينزل فيها التجار في أثناء سفرهم • وقد أسهمت الكنائس والأديرة في هذا المجال ، فاستقبلت التجار وغيرهم من المسافرين •

ـ النقـل النهري :

إلى جانب الطرق البرية استخدم التجار الطرق النهرية في نقل بضائعهم إلى المدن القريبة والبعيدة أو إلى الأسواق الشهيرة • ولم يسلم النقل النهري أيضاً من

عقبات أهمها تجمد مياه الأنهار في الشتاء ، وأخطار الفيضانات في الربيع ، ودفع المكوس التجارية إلى جميع الأمراء الذين يمر النهر في دائرة أملاكهم • وسعى تجار المدن النهرية إلى تأليف اتحادات لجمع الضرائب وصرفها على تعميق مجاري الأنهار وتطهيرها ، وبناء أحواض للسفن النهرية •

ـ النقـل البحري :

امتاز النقل البحري عن النقل البري والنقل النهري بعدم وجود مكوس أو ضرائب على السفن التي تعبر البحار ، كما امتاز بضخامة الحمولة التي تستطيع السفن البحرية نقلها • وكانت السفن البحرية في أول الأمر تلتزم السير قرب الشواطىء ، خوفاً من أن تغرق أو تضل الطريق • ولكن عندما نقل الأوروبيون

عن العرب المسلمين استخدام البوصلة في القرن الرابع عشر تجاسر قادة السفن على الإبحار في أعماق البحار باطمئنان • ورافق ذلك تقدم المعلومات البحرية الخاصة بالمواقع الجغرافية واتجاه الرياح ، وتطور فن بناء السفن القادرة على نقل حمولة كبيرة وركاب عديدين • وظلت السفن في العصور الوسطى تسيّر بالمجاذيف واستخدم العبيد في هذا العمل الشاق •

ولما كانت البحار غير خالية من القراصنة فقد اضطر التجار إلى تجميع سفنهم في شكل أساطيل مزودة بالسلاح والرجال لردع العدوان • وعملت المدن التجارية على تطهير البحار من القراصنة ، فطهّرت البندقية البحر الأدرياتيكي ، كما طهرت مدن العصبة الهانزية بحر الشمال وبحر البلطيق • ومن العقبات التي عانى منها النقل البحري العُرف السائد بأن جنوح أية سفينة مرغمة إلى شاطىء ما ، يجعلها غنيمة لصاحب الأرض التي جنحت إليها (٤١) •

تاريخ العصور الوسطى

مدرس المادة: محمد مجيد / قسم التاريخ / كلية التربية للعلوم الانسانية / جامعة الحمدانية

عنوان المحاضرة

النهضة الاوروبية

اطلق مصطلح النهضة الأوروبية على الحركة الثقافية، التي استمرّت من القرن الرابع عشر حتى السابع عشرالميلاديين، تطورت العلوم، اذ قامت النهضة بعد انتعاش التجارة وازدهار المدن الكبيرة في أوروبا، واستعمال اللغة الوطنية، بعد ان كانت اللغة اللاتينية هي اللغة الرسمية للكنيسة، بدأ الأوروبيون إدراك أنهم بحاجة إلى لغة وطنية، بعيدًا عن اللاتينية، وأصبحت اللغات الأم لكل من البلاد الأوروبية هي اللغات الرسمية، كاللغة الفرنسية، والإنجليزية.

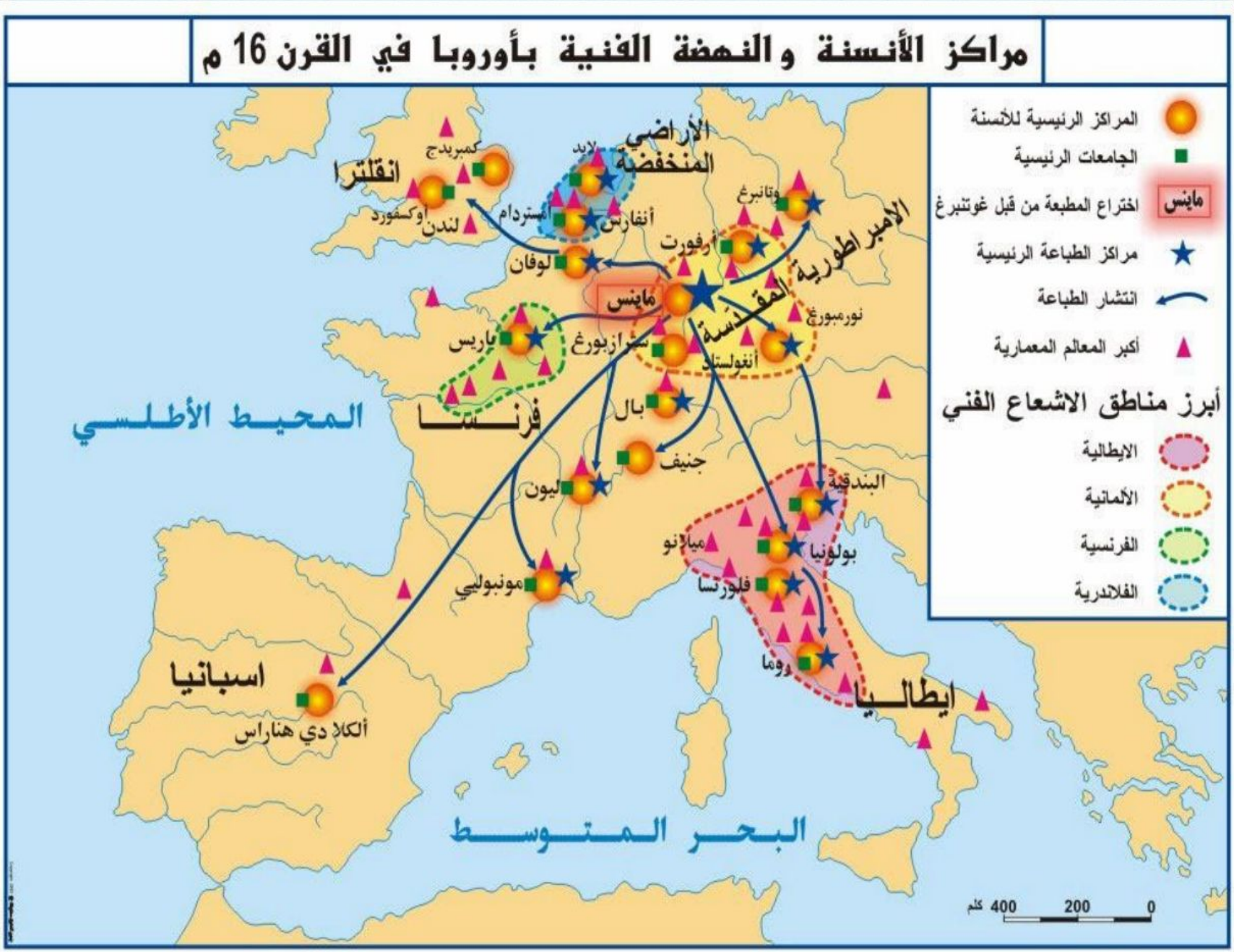
مراكز الأنسنة والنهضة الفنية بأوروبا في القرن 16 م
المراكز الرئيسية للأنسنة
الجامعات الرئيسية
ماينس
اختراع المطبعة من قبل غوتنبرغ
مراكز الطباعة الرئيسية
انتشار الطباعة
أكبر المعالم المعمارية
أبرز مناطق الاشعاع الفني
الايطالية
الألمانية
الفرنسية
الفلاندرية
الأراضي المنخفضة
الامبراطورية المقدسة
انقلترا
فرنسا
اسبانيا
ايطاليا
المحيط الأطلسي
البحر المتوسط
كمبريدج
أوكسفورد
لندن
لايد
أمستردام
أنفارس
لوفان
أرفورت
وتانبرغ
نورمبورغ
أنغولستاد
شتراسبورغ
باريس
بال
جنيف
ليون
مونبوليي
ألكلا دي هناراس
البندقية
ميلانو
بولونيا
فلورنسا
روما
400 200 0 كلم

اللوحات الفنية الجدارية التى رسمها الفنان الإيطالى مايكل – انجلو فى الفترة من 1508 حتى 1512 والتى كانت مضاءة عن طريق الضوء الطبيعى للنهار فى كنيسة سيستينا، التى تعد أكبر كنيسة موجودة بالقصر الباباوى فى مدينة الفاتيكان

مشروع معجزة للأسماك و 1515، واحدة من السبعة المتبقية الكرتون رافائيل للمطرزات لل كنيسة سيستين (متحف فيكتوريا وألبرت)

ليوناردو دافنشي
لوحة الموناليزا

رافائيلو -مدرسة أثينا

إذا أردت أن تقضي على
منافسيك وأن تبرز قوتك
للجميع ، اخلق انقلابا
وقم بالقضاء عليه

نيكولو مكيافيلي / Hekams.com

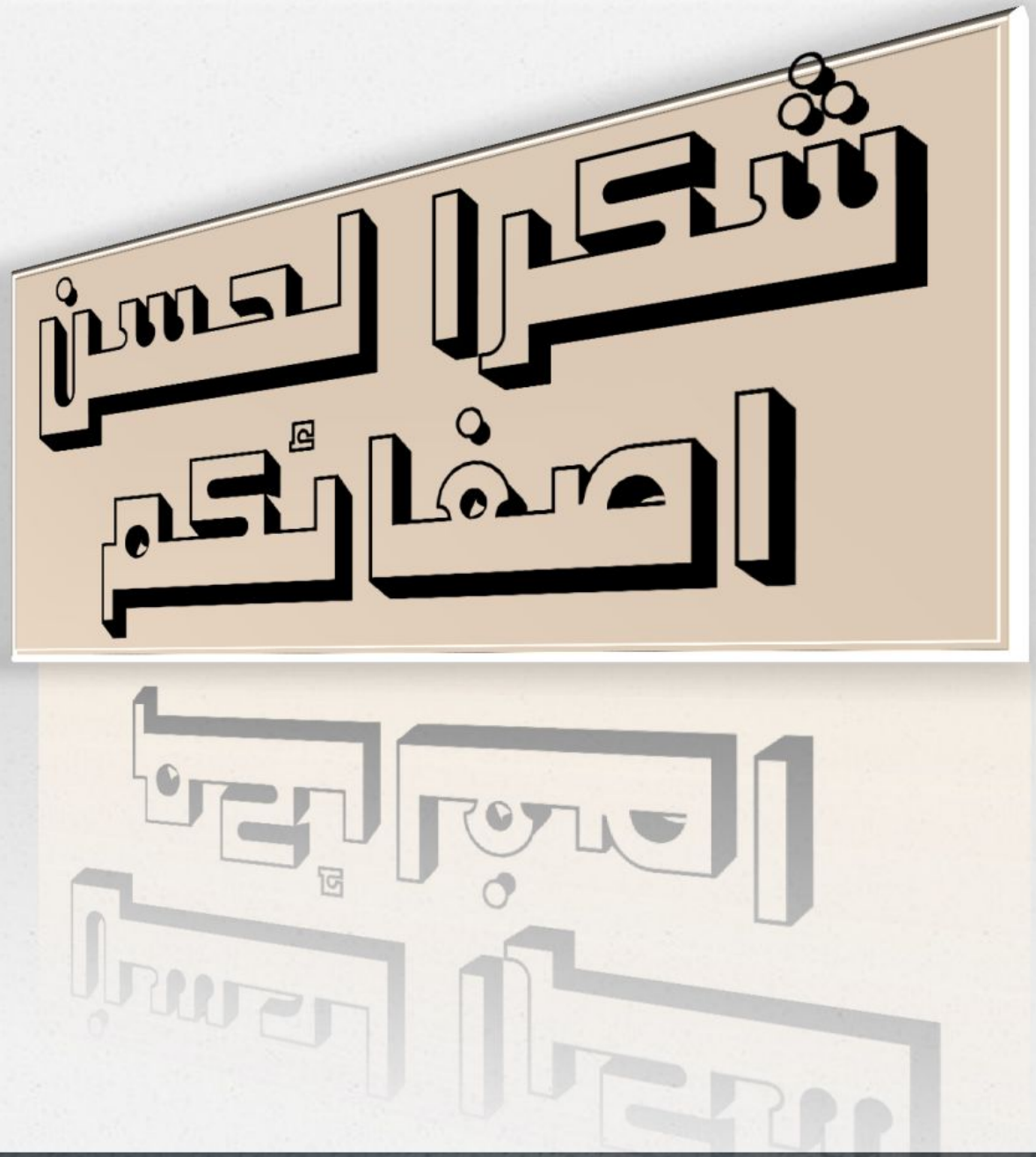
شكرا لحسن
اصغائكم

تاريخ العصور الوسطى

مدرس المادة: محمد مجيد / قسم التاريخ / كلية التربية للعلوم الانسانية / جامعة الحمدانية

عنوان المحاضرة

سقوط الامبراطورية الرومانية

نظريات في سقوط الامبراطورية

أولاً : نظام الحكم في الإمبراطورية الرومانية

ثانياً: أسباب ضعف الإمبراطورية الرومانية

ثالثاً: المشاكل التي واجهتها الإمبراطورية الرومانية في القرن الثالث الميلادي

رابعاً: إصلاحات دقلديانوس (٢٨٤-٣٠٥م) إصلاحاته الإدارية – إصلاحاته العسكرية – إصلاحاته الزراعية – إصلاحاته الاقتصادية.

خامساً: اصلاحات قسطنطين (٣٠٥ – ٣٣٧م) إصلاحاته الإدارية – إصلاحاته العسكرية – إصلاحاته الاقتصادية – إصلاحاته الزراعية.

سادساً: نظريات في سقوط الامبراطورية الرومانية.

إن المدخل الطبيعي لدراسة التاريخ الأوروبي في العصور الوسطى يبدأ باستعراض أحوال الإمبراطورية الرومانية أذ أن التاريخ الأوروبي في العصور الوسطى هو مزيج من حضارة الرومان من جهة وحضارة العناصر البربرية التي اجتازت حدود الإمبراطورية الرومانية واستقرت داخل أراضيها واختلطت بأهلها من جهة أخرى، والواقع أن الإمبراطورية الرومانية كانت من أعظم الامبراطوريات التي عرفها التاريخ، ذلك أن هذه الإمبراطورية ضمت بين حدودها مراكز الحضارات القديمة باستثناء فارس والهند.

وبلغت أقصى اتساع لها على عهد الامبراطور تراجان (٩٨ – ١١٧م)، ترجع عظمة الامبراطورية الرومانية الى أن السلطة المركزية بها استطاعت أن تحكم سيطرتها على تلك المساحة مترامية الأطراف بفضل القوانين والتشريعات التي أصدرتها.

أولا: نظام الحكم في الإمبراطورية الرومانية عند قيامها :

كان طابع الحكومة الرومانية في أوائل عصر الإمبراطورية طابع ملكي إلا أن هذا النظام اخذ في التغيير مع قدوم الامبراطور اوغسطس (٢٧ق. م –١٤م) الذي وضع حلا وسط

بين النظام الملكي والنظام الجمهوري الدستوري ذلك أن اوغسطس كان أمامه أن يختار بين نظامين للحكم الأول نظام قيصر الذي قام على أساس حكم عسكري اعترف فيه جميع الناس بالطاعة العمياء والثاني نظام الحكم الجمهوري وهنا لجا اوغسطس إلى التوفيق بين النظامين .

ثانيا: أسباب ضعف الإمبراطورية الرومانية في القرن الثالث الميلادي :

١- قيام الجيش الروماني بعزل الأباطرة وإقامة غيرهم بعد أن كان الجيش خادماً للإمبراطور.

٢- قيام الفرق العسكرية الرومانية في مختلف الولايات الرومانية باختيار قادتها وفق مشيئتها لا وفق رغبة الامبراطور والسناتور.

ثالثا: المشاكل التي واجهتها الإمبراطورية الرومانية في القرن الثالث الميلادي.

أ: المشاكل الداخلية :

١- اتجاه بعض الولايات الرومانية للانفصال عن جسم الإمبراطورية الرومانية : كانت أولى المشاكل التي واجهتها الإمبراطورية الرومانية هي كيفية احتفاظ الإمبراطورية بوحدتها بعد أن اتجهت بعض الولايات في الشرق والغرب للانفصال عن جسم الإمبراطورية.

٢- تدهور الأوضاع الاقتصادية داخل الإمبراطورية ساءت الأوضاع الاقتصادية داخل الإمبراطورية الرومانية نتيجة لكثرة الحروب الأهلية التي مزقت وحدة الدولة وجعلت طرق التجارة غير مأمونة في البر والبحر وزاد على ذلك زيادة ثقل عبء الضرائب في القرن الثالث وقد اثر ذلك الوضع تأثيرا خطيرا في بناء المجتمع الروماني الذي اختل توازنه نتيجة لان الطبقة الأرستقراطية هي التي ازدادت غنى أما الطبقة الفقير فازدادت فقرا أما الطبقة الوسطى فأخذت في التناقص.

ب: المشاكل الخارجية.

تعرضت الإمبراطورية الرومانية لأخطار خارجيه تمثلت في هجمات أعدائها على حدودها وتوغلهم داخل الحدود الرومانية .

الامبراطور دقلديانوس (٢٨٤ – ٣٠٥م)

أهم اصلاحاته :

١- قام باكبر عملية ترميم حفظت الامبراطورية من السقوط.

٢- وجه جهوده نحو ثلاثة أهداف كبري :

أ- تقوية نفوذ الامبراطور .

ب – اعادة تنظيم الجهاز الحكومي .

ج – تجديد نظام الجيش .

٣- بدأ بإقرار الأمن والنظام في مختلف الولايات، وأخضع الثورات التي قامت في مصر وولاية افريقيا وبريطانيا ، كما قام بصد هجمات البرابرة عند نهر الراين.

٤- هاجم الفرس واسترد منهم بلاد ما بين النهرين.

٥- فكر في حماية الحدود الرومانية عبر إنشاء قوة متنقلة تتحرك في أي اتجاه وفي أي وقت تحسبا للظروف الموجودة.

إصلاحاته الإدارية:

١- أعاد تنظيم الجهاز الإداري بحيث قضى على التفرقة بين ايطاليا والولايات الأخرى.

٢- أدرك أن مركز الثقل للعالم الروماني لم يعد في الغرب، بل في الشرق الذي امتازت ولاياته بكثرة سكانه والأيدي العاملة الماهرة . فاتخذ عاصمة جديدة هي مدينة نيقوميديا، كما نقل العاصمة الايطالية من روما الى ميلان، حتى يسهل انتقال الجيوش الرومانية الى غاليا (فرنسا) وألمانيا.

٣- قام بتقسيم الامبراطورية الرومانية الى أربعة أقسام كبري يرأس كل منهما حاكم اداري يتمتع بلقب أغسطس أو قيصر، ويعتبر شريكا للإمبراطور في الحكم.

الأقسام الأربعة هي :

أ- غاليا : (فرنسا وإسبانيا وبريطانيا والمغرب)

ب- ايطاليا : (الاراضي الواقعة بين نهر الدانوب والبحر الأدرياتي مع ايطاليا وطرابلس وتونس والجزائر).

ت- اليريا : (داشيا ومقدونيا وبلاد اليونان).

د- اقليم الشرق : (تراقيا وآسيا الصغرى والشام ومصر) ، واحتفظ دقلديانوس لنفسه بحكم هذا الاقليم وجعل مركزه العاصمة نيقوميديا.

٤- احتفظ دقلديانوس بلقب الإمبراطور وكان مركز إقامته نيقوميديا .

٥- كان الإمبراطور بيده السلطة العليا في الإمبراطورية والإشراف العام على جميع شئونها كما كان القائد الأعلى للجيش.

٦- ظلت الإمبراطورية وحدة واحدة على الرغم من تقسيمه للإمبراطورية الى أربعة أقاليم ثم قسمت هذه الأقاليم الى سبعة عشر وحده اصغر .

إصلاحاته العسكرية :

١- اعتمد دقلديانوس على الفرق المؤلفة من البربر المرتزقة في حماية الإمبراطورية.

٢- جعل مراكز إقامة الفرق العسكرية بالقرب من عواصم كبار الحكام الأربعة حتى يكونوا على أهبة الاستعداد للسير الى الحدود في أي وقت يطلب منهم ذلك.

٣- ازداد عدد أفراد الجيش الروماني في عهد دقلديانوس.

إصلاحاته الزراعية :

١- قام بحصر الأراضي الزراعية في الإمبراطورية وتحديدها لتقرير الضرائب بصوره عادله.

٢- قام بحماية الفقراء من جشع التجار والمستغلين لقوت الاهالي.

إصلاحاته الاقتصادية :

١- قام بإصلاح النظم المالية والضرائب التي حاول أن يجعلها عادلة .

٢- قام بسك عمله صحيحه سليمه حازت ثقة التجار والمتعاملين من جهه أخرى .

٣- قام بتحديد البضائع المتداولة والتي تعرض للبيع من جهه اخرى .

٤- قام بتسعير الحاجات الأساسية.

نتائج الاصلاحات المالية لدقلديانوس:

ألقت اصلاحاته على الأهالي عبئا ثقيلا في الوقت الذى عانت فيه الامبراطورية الرومانية من اجهاد شديد في القرن الثالث الميلادي، ولذلك لم يستطع دقلديانوس إعادة الأوضاع الاقتصادية والمالية للإمبراطورية الرومانية الى سابق عهدها من الازدهار .

النظام السياسي الروماني في عهد دقلديانوس:

تكون من أربع حكام : حاكمان أعلى مقاما يحملان لقب أغسطس، وحاكمان أقل درجة يحملان لقب قيصر، كان الامبراطور هو القائد الأعلى للجيش الروماني ويقبض على السلطة العليا وبالنهائية اعتمد دقلديانوس على الفرق العسكرية المؤلفة من القبائل الجرمانية في الجيش الروماني.

الامبراطور قسطنطين (٣٠٥ - ٣٣٧م)

قامت حرب أهلية بعد وفاة الامبراطور دقلديانوس حتى نجح الامبراطور الجديد قسطنطين في توحيد العرش الروماني ٣٢٣م، احتل الامبراطور قسطنطين العظيم مكانة هامة في التاريخ الانساني والعالمي بسبب الأعمال الجليلة التي قام بها .

وأهم أعماله:

١- الاعتراف بالمسيحية بمقتضى مرسوم ميلان الصادر سنة ٣١٣م كدين من أديان الامبراطورية مساو لغيره من الديانات.
٢- بناء مدينة القسطنطينية واتخاذها عاصمة للجزء الشرقي من الامبراطورية الرومانية واعتبارها روما الجديدة.

اصلاحات الامبراطور قسطنطين الإدارية:

١- أدخل الحكم الوراثي للإمبراطورية.
٢- قام بنقل عاصمة الإمبراطورية من روما القديمة القسطنطينية

٣- ادخل مبدأ الحكم الوراثي فأصبح المنصب الإمبراطوري وراثياً في أسرته التي اعتمدت على تأييد الجيش من جهة وعلى الدعامة الدينية من جهة اخرى، ضاعف الضرائب والخدمات الجمركية .

اصلاحات قسطنطين العسكرية:

١- قام بإنقاص عدد أفراد الفرق العسكرية .
٢- استمر في فتح الباب امام الجرمان للانخراط في سلك الجيش الروماني كجند نظاميين

إصلاحاته الاقتصادية :

١- ضاعف من الضرائب التي كانت مفروضة على الشعب.
٢- وضع طبقة الصناع في مرتبة العبودية عندما جعل الحرف والأعمال وراثيه حتى لا يفر أصحابها من قسوة الضرائب.
٣- مضاعفة الضرائب.

اصلاحاته الزراعية:

وضع تشريعاً مشدداً يمنع أولئك الذين يغرقون في الديون نتيجة لكثرة الضرائب وارتفاع يغرقون في الأسعار من ترك أراضيهم والانتقال الى ولايات اخرى عسى أن تكون الأحوال الاقتصادية فيها اقل قسوة الأمر الذي عجل بالقضاء على طبقة المزارعين الأحرار وتحويل أبناء هذه الطبقة الى عبيد مرتبطين بالأرض .

الامبراطورية الرومانية بعد قسطنطين:

تم تقسيم الحكم بين أبنائه حتى انفرد قسطنطيوس بالعرش الامبراطور جوليان المرتد يتولى العرش الروماني ٣٦١-٣٦٣م .

الامبراطور جوفيان (٣٦٣-٣٦٤م) يهادن الفرس ويتخلى عن بلاد ما بين النهرين.

الامبراطور فالنز ٣٤٦ - ٣٧٨م يقتل في معركة أدرنة ضد القوط الشرقيين.

الامبراطور ثيودوسيوس ٣٧٨ – ٣٩٥ م ، وأبنائه أركاديوس وهونوريوس .

أسباب سقوط الامبراطورية الرومانية:

يختلف المؤرخون في ذكر الاسباب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية التي عجلت بسقوط الامبراطورية ومنها:

١- الغزوات الجرمانية ونتائجها.
٢- فشل الاباطرة مشكلة في حل العلاقة بين الدولة والفرد.
٣- ازدياد نفوذ الطبقة الارستقراطية من كبار الملاك الاقطاعيين على حساب الطبقة الوسطي .
٤- انهيار نظام المدينة الحرة ذات الحكم الذاتي .

سادساً: نظريات في سقوط الامبراطورية الرومانية.

نظرية القديس أوغسطين (٣٥٤-٤٣٠م):

ولد "أوغسطين" من أبوين رومانيين عام ٣٥٤ م في مدينة " تاجستا" (شرقي الجزائر حالياً) وفي عام ٣٩٥ م أصبح زعيماً للكنيسة الكاثوليكية في شمال إفريقية ، وفي عام ٤١٢ م ألف كتاب سماه (مدينة الله) وكان سبب تأليفه هو أنه عندما سقطت الإمبراطورية الرومانية وعاصمتها (روما) بيد (ألارك) زعيم الغوط الغربيين سنة ٤١٠ م، قال الوثنيين ومنهم المؤرخ الوثني (زوسيموس) صاحب كتاب التاريخ الجديد: "أن سقوطها هو انتقاماً للوثنية و أن المسيحية هي المسؤولة عن خراب الإمبراطورية الرومانية" ، لذلك ألف هذا الكتاب الذي بين فيه أن سقوط الإمبراطورية الرومانية هو إرادة ربانية ولا علاقة للمسيحية بسقوط الأمبراطورية الرومانية ، وقد ذكر في آخر كتابه :"أن روما الخاطئة سقطت لتمهد السبيل لانتصار مدينة الله الخالدة".

نظرية المؤرخ الإنكليزي إدوار جيبون (١٧٣٧- ١٧٩٤م):

يرى إدوار جيبون في كتابه " اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها " أن تدهور الإمبراطورية الرومانية هو نتيجة لعظمة فقدت الاعتدال فالرفاهية أنضجت مبدأ الاضمحلال

والسقوط "، كما بين دور الجيوش التي أطبقت على حرية الدولة ثم حطمت جلال الملك وعظمته، كما هاجم "جيبون" المسيحية وحملها مسؤولية التدهور، وقال : "بدلاً من الإنفاق على الجيش و دفع معاشات الجند راحت الأموال تعطى للرهبان الذين يدعون العالم إلى العفة والعزلة والتقشف" وقال "لقد تحول اهتمام الأباطرة من المعسكرات إلى المجالس الكنسية".

نظرية المؤرخ الروسي الاصل رستو فيتزف (١٨٧٠- ١٩٥٢م):

يرى رستو فيتزف في كتابه (التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للإمبراطورية الرومانية) أن الإمبراطورية سقطت الأسباب يمكن ان في النقاط التالية:

١- تسرب الطبقات الدنيا إلى الطبقات العليا وحصولها على أعلى المناصب و تمكنها من السيطرة على جيوش.
٢- يرى أن تعلم الطبقة الدنيا كان ضئيلاً لذلك لم يستوعبوا التقاليد الإمبراطورية و المثل الرومانية.
٣- يرى أن الطبقات العليا لم تستطع التعاون مع العناصر الجديدة ، لذلك اندلعت الحرب الأهلية ، و بالتالي طغت العناصر الهمجية البربرية، فأغرقت الحضارة الرومانية بالتسلل حيناً و بالفتح حيناً آخر.
٤- يرى أن الحضارة لا تدوم إلا إذا أصبحت تخص كل فئات الشعب ، وليس حضارة طبقة واحدة فقط.

النظرية البيولوجية:

يرى أصحاب هذه النظرية أن سبب انحطاط الأمبراطورية الرومانية هو القضاء على خير العناصر في الحروب الأهلية والخارجية.

ويرى بعض هؤلاء الباحثين أن امتزاج دم الطبقات الدنيا بدم الطبقات العليا في المجتمع الروماني قد دنس الطبقات الاخيرة هذه .

ويرى فريق ثالث من الباحثين أن الطبقات العليا لا تدنس ولا يقضى عليها وإنما تنتحر بعدم التوالد ، بينما الطبقات الدنيا تتكاثر بدون قيود.

النظرية الاقتصادية:

يرى أصحابها ان اسباب سقوط الرومانية هي ركود التجارة ، وانخفاض الإنتاج الزراعي والصناعي وندرة الذهب والفضة في القسم الغربي من الإمبراطورية الرومانية، ذلك لأن السلطات الرومانية كانت تمنع أفراد الطبقات العليا من العمل بالصناعة والتجارة ، لأن العمل من مهمات العبيد ولا يليق بالأسياد ، وهؤلاء العبيد أصبحوا قلائل بسبب توقف الفتوحات مما أدى إلى ركود التجارة وانخفاض الإنتاج الزراعي والصناعي.

ويرى اصحابها ايضاً إن تحوّل الذهب من الغرب إلى الشرق لشراء السلع الكمالية كالحرير والتوابل كان السبب في الانهيار الاقتصادي الذي أصاب الإمبراطورية وبالتالي أدى إلى سقوطها ، وسرعان ما لحق الاقتصاد بالذهب ليصبح اقتصاداً بدائياً يعتمد على المقايضة ، بعد أن كان اقتصاداً نقدياً يعتمد على رأس المال.

المشكلات الاقتصادية والاعتماد المفرط على العبيد:

كان الغزاة الأجانب يهاجمون روما، لكنها كانت في ذات الوقت تتداعى من الداخل أيضا بسبب أزمة مالية حادة فقد كانت الإمبراطورية تدفع الكثير من المال لتغطي تكلفة الحروب المستمرة والمغالاة في الإنفاق حتى استنفدت خزائنها، وتسبب لجوؤها إلى فرض الضرائب الظالمة إضافة إلى التضخم في توسيع الفجوة بين الأغنياء والفقراء.

هاجر الكثير من الأغنياء إلى الريف وأسسوا إقطاعيات مستقلة هربًا من الجباة، في حين اهتز وضع الإمبراطورية بسبب نقص العمالة، وقد اعتمدت روما على العبيد في حرث حقولها وأداء المهن الحرفية، وكان جيشها عادة يخلق تياراً مستمراً من هؤلاء بقهره الشعوب الأجنبية واستعباد أبنائها، حتى توقف توسع الإمبراطورية إبان القرن الثاني الميلادي، فتوقف تدفق العبيد إلى روما مثلما بدأت خزائن غنائمها بالنضوب

وضرب الزمان روما ضربة أخرى في القرن الخامس الميلادي، حين طالب الفندال بشمال أفريقيا وبدؤوا بالتعرض لتجارة الإمبراطورية حين جابوا البحر المتوسط قراصنةً، بدأت قبضة روما التي أمسكت أوروبا سابقا بالارتخاء إذ انهمكت في مشكلاتها الاقتصادية وتردت أرباح تجارتها وتداعى إنتاجها الزراعي.

نظريات أخرى:

هناك نظريات أخرى أذ يرى الباحث " دوسن" أن الجيش الروماني كان يتألف من المواطنين الرومانيين ثم أصبح يتألف من المرتزقة بقيادة ضباط أو قواد أنصاف سياسيين وأنصاف عسكريين مغامرين.

ويرى بعض الباحثين أن أسباب سقوط الإمبراطورية الرومانية هو عدم إعطاء الجماهير نصيباً في الحكم.

يرى البعض الآخر أن الانحلال الأخلاقي كان سبباً في تدهور الأمبراطورية الرومانية و سقوطها

غزو القبائل البربرية:

أكثر النظريات صراحة في تفسير انهيار روما الغربية هي القول بسقوطها نتيجة الخسائر العسكرية المتلاحقة أمام القوى الخارجية، إذ اشتبكت روما مع القبائل الجرمانية قرونا طويلة حتى استطاعت مجاميع بربرية كالقوط عبور حدود الإمبراطورية في القرن الرابع الميلادي.

أن روما واجهت ثورة جرمانية في أواخر القرن الرابع، لكن عاصمتها كانت قد سقطت سنة ٤١٠ م بيد الملك القوطي الغربي الاريك؛ فقضت الإمبراطورية عقودها اللاحقة تحت تهديد دائم قبل أن تهاجم مجددًا سنة ٤٥٥ م، وكان المهاجمون هذه المرة هم الفندال، وفي سنة ٤٧٦ أشعل القائد الجرماني أو دواسير ثورة خلع فيها الإمبراطور رومولوس أوغسطيلوس، ومنذئذ لم يستطع إمبراطور روماني أن يحكم من داخل إيطاليا، الأمر الذي جعل الكثيرين يختارون سنة ٤٧٦ م تاريخا لموت الإمبراطورية الغربية.

نهوض شرق أوروبا:

كان مصير روما قد قدر جزئيا منذ نهاية القرن الثالث الميلادي حين قسم الإمبراطور ديوكلتيانوس الإمبراطورية إلى نصفين غربي مركزه ميلان وشرقي مركزه بيزنطة (القسطنطينية لاحقا وإسطنبول حاليا)، سهل هذا التقسيم من حكم الإمبراطورية على المدى القصير، لكنه جعل القسمين يبتعدان عن بعضهما مع مرور الوقت.

فشل الشرق والغرب في العمل بكفاءة للتصدي للأخطار الخارجية معا، وقد تنازعا مراراً على الموارد وتشاجرا حول المساعدة العسكرية، فتوسع الانشقاق بينهما وازدادت ثروة القسم الشرقي المتكلم بالإغريقية – غالباً – بينما عانى القسم الغربي المتكلم باللاتينية – غالباً – أزمة اقتصادية.

وأهم من ذلك كانت قوة الجزء الشرقي التي دفعت الغزوات البربرية نحو الغرب، إذ حرص أباطرة مثل قسطنطين على تحصين مدينة القسطنطينية وحمايتها، بينما تركت إيطاليا وروما التي لم تحمل إلا قيمة رمزية للكثيرين في الشرق في وضع هش.

تداعى الكيان السياسي الغربي في القرن الخامس لكن القسم الشرقي استطاع الاستمرار بطريقة أو بأخرى ألف سنة تالية قبل أن تهزمه الإمبراطورية العثمانية نهائياً في القرن الخامس عشر الميلادي.

الإفراط في التوسع والإنفاق العسكري:

امتدت الإمبراطورية الرومانية إبان سطوتها من المحيط الأطلسي حتى نهر الفرات، لكن اتساعها ربما كان سبب سقوطها أيضا، فقد كان حكم هذه المساحات الشاسعة كابوساً إدارياً ولوجستياً حتى للرومان بشبكة طرقهم الممتازة، إذ كان من المستحيل عليهم التواصل مع مختلف أنحاء الإمبراطورية بسرعة كافية وفاعلية مناسبة.

كافحت روما لتجهيز قوات وموارد كافية لحماية الحدود من الثورات المحلية والهجمات الخارجية، وبحلول القرن الثاني الميلادي أجبر الإمبراطور أدريان على بناء سوره الشهير في بريطانيا ليمنع تدفق جحافل الأعداء إلى أراضي دولته، ازدادت نفقات الجيش الإمبراطوري فقلت سرعة التطورات التكنولوجية وانهارت البنية التحتية المدنية للدولة.

الفساد الحكومي والصراع السياسي:

إذا كان حجم روما الضخم عائقاً أمام حكمها بنجاح، فإن قيادتها الواهنة والمتنافرة لم تفعل سوى تضخيم حجم المشكلة.

كان منصب الإمبراطور الروماني يعرض صاحبه للخطر دوما، لكنه أصبح في القرنين الثالث والرابع يُعادل حكم الإعدام تقريباً، أما الحرب الأهلية فقد جعلت الوضع في الإمبراطورية فوضوياً وتداول الجلوس على العرش عشرون إمبراطوراً في غضون ٧٥ سنة فقط، كان معظمهم يغادر الدنيا مقتولا.

اغتال الحرس الإمبراطوري الذي كان حماية الإمبراطور الشخصية الأباطرة ونصبهم في الحكم كلما أراد ذلك، وفي إحدى المرات أقام مزاداً ومنح المنصب للرابح في المزاد لم يقتصر الفساد السياسي على ذلك، بل امتد إلى مجلس الشيوخ الروماني الذي فشل في وقف طوفان الأباطرة المتتالين بسبب استشراء الفساد فيه وانعدام كفاءته.

ازداد الوضع سوءا وتضاءل شعور الفخر عند الرومان وفقدت طائفة كبيرة من الشعب ثقتها في قيادتها.

وصول الهون وهجرة البرابرة:

نتجت جزئياً هجمات القبائل البربرية على روما من هجرتها الواسعة التي سببها غزو الهون لأوروبا في نهاية القرن الرابع الميلادي.

اكتسح المحاربون الأوراسيون (الهون) شمال أوروبا فدفعوا كثيراً من القبائل الجرمانية إلى الحدود الرومانية، وسمح الرومان منزعجين الأعضاء قبيلة القوط الغربيين بعبور الحدود جنوب الدانوب إلى أراضي الإمبراطورية الأمنة لكن ذلك لا يعني أنهم لم يعاملوهم بقسوة مفرطة.

يقول المؤرخ أميانوس مارسيلينوس إن المسؤولين الرومان وصلوا في قسوتهم حد إجبارهم القوط المتضورين جوعاً على بيع أطفالهم ليكونوا عبيداً مقابل إطعامهم لحوم الكلاب، وهكذا خلق الرومان لأنفسهم عدوا خطيراً داخل حدود إمبراطوريتهم، فلما بلغ الاضطهاد حداً يصعب تحمله فثار القوط حتى هزموا الجيش الروماني وقتلوا الإمبراطور الشرقي فالينس في معركة أدريانابول سنة ٣٧٨ م، أما الرومان المصعوقون فقد فاوضوا لأجل سلام مهلهل مع البرابرة.

لم تكد سنة ٤١٠م تحل حتى انحلت الهدنة إذ تحرك الملك القوطي الاريك غرباً واحتل روما، وبسبب ضعف الإمبراطورية الغربية استطاعت القبائل الجرمانية كالفندال والساكسون عبور الحدود واحتلال بريطانيا وإسبانيا وشمال أفريقيا.

ظهور المسيحية:

كان انحطاط روما مترافقا مع انتشار المسيحية، ورأى بعض الدارسين أن صعود الإيمان الجديد ساهم في سقوط الإمبراطورية.

صدر سنة ٣١٣م مرسوم ميلان الذي قنن المسيحية التي ما لبثت أن أصبحت دين الدولة الرسمي سنة ٣٨٠م، وأنهت هذه القرارات اضطهاداً نال المسيحيين قروناً طوالا لكنها ربما فتتت نظام القيم التقليدية الروماني أيضاً، إذ حلت المسيحية محل الديانة التعددية الرومانية التي قدست الإمبراطور واهتمت بعظمة الدولة، فلما أتت المسيحية ركزت على عظمة الإله الواحد، وفي نفس الوقت، تدخل البابوات وقادة الكنيسة في شؤون السياسة فأضافوا مزيداً من التعقيد على الحكم.

إضعاف الجحافل العسكرية الرومانية:

حمد العالم القديم روما على جيشها خلال معظم تاريخها، لكن طبيعة جحافلها التي كانت يوما مهابة بدأت بالتغير في فترة انحدار الإمبراطورية، إذ لم يعد باستطاعة الأباطرة مثل ديوكلتيانوس وقسطنطين تجنيد الأعداد اللازمة من الجنود من المواطنين الرومان فلجؤوا إلى تجنيد المرتزقة الأجانب لدعم جيوشهم.

أصبحت الرتب العسكرية ممتلئة بالقوط الجرمان والبرابرة الآخرين حتى استعمل الرومان كلمة «بربري» للدلالة على الجندي، في حين أثبت هؤلاء الجنود الجرمان كفاءتهم في القتال مع انعدام ولائهم للإمبراطورية، أما تعطش ضباطهم للسلطة فجعلهم كثيراً ما ينقلبون على رؤسائهم الرومان.

في الواقع، كان كثير من البرابرة الذين غزوا مدينة روما وأسقطوا الإمبراطورية الغربية جنوداً خدموا في جحافل الجيش الروماني يوما ما.

تاريخ العصور الوسطى

مدرس المادة: محمد مجيد / قسم التاريخ / كلية التربية للعلوم الانسانية / جامعة الحمدانية

عنوان المحاضرة

شارلمان وامبراطورية الفرنجة

المحاضرة الثامنة

شارلمان وامبراطورية الفرنجة

دور رؤساء البلاط:

لم يمض على قيام دولة الفرنجة ثمانون عاما حتى كفت عن التوسع, ودخلت فى الفوضى والحروب الأهلية قرابة قرن ونصف, وسرعان ما ظهر فى هذا الدور ضعف ملوك البيت الميروفنجى من سلالة كلوفيس ، فى الوقت الذى انقسمت فيه دولة الفرنجة إلى ثلاثة ممالك:

أوستراسيا – نستريا – برجنديا .

ومن مظاهر ضعف ملوك الفرنجة فى هذه الأقسام الثلاثة :

زيادة نفوذ رجال الدين والكنيسة.

ثم كان ان اختار نبلاء اوستراسيا زعيمهم ليتولى وظيفة رئيس البلاط فى القصر الملكى, وكانت الوظيفة فى أول أمرها متواضعة يقوم صاحبها بالإشراف على خدم القصر وموظفيه, ولكنها بدأت تسمو حتى أصبح صاحبها بمثابة الوزير الأول فى الدولة, وقد تعاقب فى هذا المنصب منذ سنة 614 سلسلة من النبلاء بطريق الوراثة حتى أصبحت السلطة الفعلية فى أيديهم, وهكذا لم يعد تاريخ الميروفنجيين بعد وفاة الملك داجوبرت سنة 639م مرتبطا بالملوك وانما برؤساء البلاط فى الأقسام الثلاثة التى انقسمت اليها الدولة الميروفنجية.
وكان النصر فى النزاع بين هذه الأقسام الثلاثة لأوستراسيا التى برز رئيس بلاطها بيبين الثاني (ببين هرستال), فى أواخر القرن السابع, ثم خلفه فى منصبه ابنه غير الشرعى شارل مارتل سنة 714م .

سياسة شارل مارتل :

وجدت دولة الفرنجة فى حالة يرثى لها, بسبب النزاع بين رؤساء البلاط في نستريا واوستراسيا من جهة, والأخطار الخارجية من جهة أخرى, فأسرع شارل مارتل فى القيام بسلسلة من الحروب لتأمين دولة الفرنجة ضد السكسون والفريزيين والالماني وضد البافريين وضد المسلمين الذين شكلوا خطورة كبيرة على دولة الفرنجة, فحشد قوى اتباعه من النبلاء وغيرهم واستطاع النصر على المسلمين, وهو انتصار اكسبه لقب «مارتل» أى المطرقة, وجعل منه بطل المسيحية الأول فى نظر العالم الغربى لأنه حمى غرب أوروبا من غزو المسلمين ، بيد أن استيلاء شارل مارتل على بعض أراضي الكنيسة فضلا عن رفضه مساعدة البابوية ضد اللمبارديين, أثار وحشة بينه وبين الكنيسة ، لكن هذه الوحشة لم تستمر طويلا إذ توفى شارل مارتل سنة 741 وخلفه ابنه بيبين القصير فى رئاسة البلاد (741-768م).

وقد عمل بيبين على اصلاح ذات البين مع الكنيسة وعقد اربعة مجامع دينية قررت فرض النظام البندكتى على الاديرة الفرنجية وان يمتد سلطان البابا علي الجميع .
ولما ايقن المعاصرون ان الوضع السياسى فى دولة الفرنجة غير صحيح فى ظل حكم رئيس البلاط وهو الحاكم الفعلى للبلاد, وملك شرعى مستضعف, لذلك اجتمع المجلس العام لشعب الفرنجة سنة 751 وقرر عزل الملك شلدريك الثالث آخر ملوك ا وستراسيا وجلوس ببين القصير علي العرش 752-768م .

ولم تلبث ظروف الموقف بين البابوية واللمبارديين أن ادت إلى طلب البابا لطلب المساعدة من بيبين القصير وتم التحالف بين البابوية و بين ببين القصير ضد اللومبارديين . وفى مقابل ذلك توج البابا ستيفن الثاني بيبين القصير بيده كما توج زوجته وولديه شارل وكارلومان.
وأنزل البابا اللعنة علي من يحاول اغتصاب عرش الفرنجة من بيت بيبين القصير .
وبذلك أصبحت دولة الفرنجة هي الحليف الرئيس للبابوية في الغرب .

حضارة الدولة الميروفنجية :

استفادت من الاحتكاك بالسكان والحضارة الرومانية ، لم يستخدموا العنف مع السكان ، وساعد علي تقاربهم معهم اعتناقهم المسيحية على المذهب الكاثوليكى واستخدام اللغة اللاتينية
قلد الميروفنجيون البلاط الروماني في مراسمه ، واتبعوا نظاما ملكيا وراثيا تمتع بسلطات مطلقة ، هذبت المسيحية من القوانين الميروفنجية القاسية ، وشهدت أسواقها وموانيهاازدهارا تجاريا بفضل وجود التجار اليهود والبيزنطيين والمسلمين .

الدولة الكارولنجية:

توحيد شارلمان للدوله الكارولنجيه بتتويج بيبين القصير رئيس للبلاط الملكي على دولة الفرنجه تكون الأسرة الميروفنجيه قد انتهت , وحلت محلها الأسرة الكارولنجيه وظل بيبين في الحكم حتى وفاته عام 868 وعندئذ قسمت مملكته وفقا للتقاليد الفرنجية بين ولديه شارلمان وكارلومان ، ونشب نزاع بين الأخوين هدد بالقضاء على وحدة مملكة الفرنجة, وانتهى النزاع انتهى بوفاة كارلومان , الأمر الذي أتاح المجال لتوحيد مملكة الفرنجه تحت سيادة شارلمان.

أهم الحروب التي قام بها شارلمان:

الحرب بين شارلمان وسديريوس :

استاءت جربريجا Gerbrega أرملة كارلومان لإغفال حقوق تتويج ولديها القاصرين بعد وفاة الإمبراطور كارلومان فقررت الفرار الى بلاط سديريوس ملك اللل ومباردبين وكان شارلمان تزوج ابنته ثم عاد فطلقها بسرعه مما زاد من توتر العلاقات ما بين الجانبين فما كان من سديريوس إلا أن ساعد أرملة كارلومان حيث انه طلب من البابا تتويج ولدى كارلومان ولما رفض البابا قام بمهاجمة أملاك الأراضي البابوية, الأمر الذي دفع البابا للاستنجاد بشارلمان الذي حاول مفاوضة سديريوس بإعادة الأراضي البابوية التي استولى عليها الا انه رفض وهو ما نتج عنه دخول الطرفين في حرب انتهت بانتصار شارلمان علي سديريوس بعد أن سيطر على اغلب أراضيه.

حروب شارلمان ضد السكسون ومسلمي اسبانيا والعناصر السلافيه :

لم تكن حروب شارل العظيم سوى الحلقة الأولى فى سلسلة طويلة من الحروب قام بها شارل ضد السكسون ومسلمى أسبانيا والعناصر السلافية, وحققت هذه الحروب قسطا كبيرا من النجاح لأنها أدت إلى حماية أوروبا من العناصر الوثنية المجاورة فضلا عن نشر المسيحية بين هذه العناصر.

قام شارلمان بأولى حملاته ضد المسلمين المقيمين في اسبانيا غير أن قواته عجزت عن الاستيلاء على سرقسطه , فعادت قواته ادراجها ثم قام بهجمات ضد السكسون واخضع البافاريين وعزل ملكها كذلك قام بحروب اخضع فيها العناصر السلافية الشمالية .

وأعنف حروب شارل وأطولها كانت ضد السكسون وقد قام شارل العظيم بثمان عشر حملة ضدهم لإخضاعهم وتحويلهم إلى المسيحية ونجح فى ذلك, اذ قام أثناء الصراعات معهم بتأسيس ثمان أسقفيات فى سكسونيا وأرسل الكثير من البعثات التبشرية حتى آمن السكسون أخيرا بالمسيحية.

وهكذا قضى شارل العظيم معظم فترات حكمه فى حروب مستمرة قدرت بأربع وخمسين حملة مكنته تقريبا من فرض سيطرته على ما كان للإمبراطورية القديمة من أملاك فى الغرب, فضلا عما نتج من نشر المسيحية فى بلاد وبين شعوب لم يسبق أن وصل إليها الرومان من قبل.

تتويج شارلمان امبراطورا :

يتضح مما سبق أنه لم يكد ينته القرن الثامن إلا كان شارل العظيم قد قام بأعمال لم يستطع القيام بها أحد غيره من المعاصرين. ذلك أنه لم ينجح فقط فى تكوين دولة ضخمة فى غرب أوروبا, بل نجح أيضا فى حماية البابوية ونشر المسيحية واحياء الكثير من مظاهر الحضارة الرومانية فى الغرب. مما اثار فى نفوس المعاصرين الرغبة فى احياء مجد الامبراطورية الرومانية وشخص الامبراطور. ومن الواضح أنه كان فى استطاعة شارل أن يضفى على شخصه هذا اللقب.

ولكنه كان يطمح أن تخلع البابويه عليه لقب الإمبراطورية حتى تكون أوقع أثرا فى العالم المسيحى أجمع. وقد أتيحت له هذه الفرصة لتحقيق هذا الحلم سنة 799عندما تأمر خصوم البابا ليو الثالث ضده ووضعوا خطه ترمى الى خلع عينيه وقطع لسانه لإبعاده عن المنصب , ولم يلبث أن

سمع شارلمان بأمر هذه الأحداث التي جرت في روما وبأن البابا لم ينج من المؤامرة الا بصعوبة فأرسل الى البابا الهارب واستقبله في ترحاب ثم اتجه معه الى روما وبذلك عاد البابا لمباشرة أعماله وأمر شارلمان بمعاقبة المتآمرين وهنا اخذ البابا يفكر في كيف يرد الجميل له فقام بتتويجه امبراطورا على الرومان فى حفل كبير أقيم بكنيسة القديس بطرس لعيد رأس السنة (800)م .

نتائج تتويج شارلمان إمبراطورا:

قدر لشارلمان أن يحيي الإمبراطورية الرومانية في الغرب بعد أن ظل العالم الغربي بلا إمبراطور منذ أواخر القرن الخامس .
قطعت البابوية الرباط الذي يربطها بالإمبراطورية البيزنطية بتتويج شارلمان إمبراطورا وفى الوقت نفسه قوت الرباط مع مملكة الفرنجة وأكسبت هذا الرباط طابعا دينيا مقدسا جعل تتويج شارلمان التاج الامبراطورى يبدو في صورة منحة من البابا وهى العقيدة التي أصبح لها شان كبير في النزاع بين الإمبراطورية والبابوية فيما بعد جاء إعلان شارلمان إمبراطورا في الغرب صدمه عنيفة للإمبراطورية البيزنطية فمنذ سقوط الإمبراطورية الغربية في القرن الخامس والعالم الروماني لا يعرف الا إمبراطورا واحدا هو الإمبراطور البيزنطي الذي تمتع بسيادة ولو شكلية على الغرب بوصفه وريث الأباطرة الرومان ولكن قيام شارلمان امبراطورا اوجد منافسا خطيرا للإمبراطور البيزنطي وحرم الإمبراطورية البيزنطية من كل سيطرة تدعيها على البابوية والعالم الغربي ، كانت هذه الصدمة هي التي جعلت الإمبراطورية الشرقية لا تعترف بشارلمان الا عندما أفاقت بعد مرور اثنتي عشر سنه على تتويجه .

إصلاحات شارلمان:

في مجال الثقافة :
شجع الأدباء والعلماء الذين وفدو على بلاطه من مختلف أنحاء أوروبا ولا سيما انجلترا وايطاليا وايرلندا .

في مجال العلم والتعليم :
1 - قام بتصحيح المخطوطات القديمة .
2 - اهتم بإصلاح نظم المدارس الدينية ونشر التعليم .
3 - رفع مستوى رجال الدين الثقافي .
4 - العنايه بالمكتبات ونسخ الكتب .

في مجال التشريع والقضاء والاداره :
1 -تقوية العنصر الشعبي في دور القضاء .
2 -أمر بتدوين التراث الشعبي القومي لمختلف العناصر التي تألفت منها إمبراطورتيه.

BAROUD

3 -قام بتقسيم إمبراطورتيه الى أقسام إدارية يشرف على كل منها كونت يعتبر نائبا عن شارلمان نفسه في منطقته ويتمتع باختصاصات وسلطات واسعة سواء في النواحي المالية أو القضائية أو الإدارية .

في مجال الزراعة :

شجع كبار الملاك في الإمبراطورية على العناية بزراعة أراضيهم ومعاونة الحكومة في تقوية جسور الأنهار .

في مجال الصناعة :

كانت الصناعة موجوده في الأديرة الا أن شارمان جعلها في الضياع والقرى

في مجال التجارة :

اهتم بتنظيم التجارة الداخلية والخارجية

شارلمان والكنيسة:

- العامل الديني كان الأساس الذى ساهم في نجاح الدولة الكارولنجية , وهو العامل نفسه الذى أدى إلى نجاح شارلمان فى اقامة امبراطوريته, وفى المزج بين شعوب هذه الامبراطورية على أساس أنهم خاضعون جميعا لحاكم يتمتع برضاء الكنيسة.
- عدم تقاعس ملوك البيت الكارولينجى عن مساندة الكنيسة.
- قيام الكنيسة برد الجميل من خلال تتويج بيبين القصير ملكا 753م / وتتويج شارلمان امبراطورا 800م .

كان شارلمان يسيطر علي الكنيسة ، فهو يعين الأساقفة ويدعو إلى عقد المجامع الدينية ويتولى رئاستها ويحدد حقوق رجال الدين ويشرع القوانين اللازمة للكنيسة وواجباتهم.

ولما وجدت الكنيسة نفسها خاضعة تماما لحكومة شارلمان حاولت التحرر من قبضة شارلمان فأرسل برسالة يهدد بها البابا ليو الثالث بأن اختصاص البابوية لا ينبغى أن يتعد الجانب الدينى بأى حال ، وهكذا ظلت الأمور على وفاق بين الكنيسة والدولة طالما كان شارلمان يجمع فى قبضته القوية بين زمام السلطتين الدينية والزمنية .

تقسيم الإمبراطورية الكارولنجيه :

قام شارلمان بتقسيم إمبراطورتيه الواسعة بين ابنائه الثلاثة على أن وفاة اثنين , وبقاء واحد, وهو لويس التقى أخر تقسيم الإمبراطورية وقام لويس التقى بتقسيم الإمبراطورية بين ابنائه الا انه حدث خلاف بينهم أدى لحرب اهليه بينهم, ثم قسمت الإمبراطورية لأكثر من إقليم بين ورثة الملوك الذين جاءوا بعد ذلك وهو ما أدى لانهيار الإمبراطورية الكارولنجيّ وظهور قوى عظمى أخرى .

اتفاقية فردون 843 م :

كانت بين أبناء شارلمان الثلاث . واهم بنودها :

- يحصل شارل الاصلع على الجزء الغربي الذى يتحدث اللغة الرومانية.
- يحصل لويس الالماني على الجزء الشرقي الذى يتحدث الألمانية.
- يحصل لوثر على منطقة انتقال بين اللغتين الألمانية والفرنسية (لوثرنجيا) مملكة لوثر . اقليم اللورين .

BAROUD

تاريخ العصور الوسطى

مدرس المادة: محمد مجيد / قسم التاريخ / كلية التربية للعلوم الانسانية / جامعة الحمدانية

عنوان المحاضرة

ظهور المسيحية وانتشارها

ظهور المسيحية:

ولد سيدنا المسيح عيسى بن مريم (عليه السلام) أثناء عهد الإمبراطور أوغسطس في بيت لحم بفلسطين، وكانت فلسطين في ذلك الحين تخضع للحكم الروماني، وقضى سيدنا المسيح شبابه في مدينتي الناصرة والخليل. وفي الثلاثين من عمره جاب فلسطين ونادى بنفسه المسيح أي (رسول الله)، وظل طوال ثلاث سنوات يكرز في أوساط اليهود ويبشرهم بالحادث الجديد (الإنجيل) او (البشرى) وهو الوعد بالعدل والسلام . وقد آمن بعض اليهود بتعاليم المسيح الجديدة ، في حين عارضه الآخرون الذين ينتظرون مسيحاً قوياً ماجداً يحقق لهم الانتصار على جميع الشعوب. في وقت نفسه أخذ العالم الروماني يشعر بنوع من الفراغ أو الجذب الروحي، فالرومان أنفسهم بدءوا ينظرون إلى عبادة الدولة الرسمية وتقديس الأباطرة، على أنّها أمور شكلية، مما دفع المتعلمين منهم بوجه خاص إلى الاستخفاف بالعقائد الدينية السائدة سواء أكانت يونانية أو رومانية الأصل.

ومن الواضح أنه لا يوجد محل للمقارنة بين المسيحية وغيرها من الديانات التي عرفها الشرق منذ أقدم العصور حتى ذلك الوقت، لأن قصة المسيح عليه السلام وحياته فاقت في سموها وجمالها بقية القصص الدينية المعاصرة. ويكفي أن تعاليمه مستمدة من كتاب مقدس يمكن أن يفهمه ويتأثر به الخاصة والعامة، لأمن فلسفة اليونان التي لا يمكن أن يتفهمها سوى فئة من خاصة المثقفين. فإذا أضفنا إلى ذلك أن المسيحية جاءت ديناً سماوياً عاماً دون أن تختص بطائفة أو تُميّز فريقاً على آخر ، أدركنا سر انتشارها السريع وتفوقها في النهاية على غيرها من العقائد الشرقية المعاصرة.

وقد استاء أحبار اليهود من تعاليم السيد المسيح الجديدة لأنه يجعل محبة الله والإخاء بين الناس فوق تعاليم التوراة، فأثاروا ضده السلطات الرومانية بفلسطين، التي رأت أيضاً في تعاليمه تحريضاً يمكن أن ينقلب إلى حركة ثورية ضد الحكم الروماني. وعلى هذا استجاب الحاكم الروماني بفلسطين بيلاطس المنطي لمطلب المحكمة اليهودية العليا وأمر جنوده بقتل السيد المسيح فصلب على رابية الجلجلة التي تقوم عليها اليوم كنيسة القيامة في شمال مدينة القدس.

انتشار المسيحية:

إنَّ معلوماتنا عن تأريخ الكنيسة في عصرها الأول، وكذلك عن انتشار المسيحية في أركان الإمبراطورية الرومانية ضئيلة وغير كافية، وإن كان من الثابت أن الفضل الأول يرجع إلى القديس بولس Paul's في تنظيم المجتمعات المسيحية الأولى، ووضع قواعد اللاهوت وما يرتبط به من فلسفة المسيحية المتعلقة بالأخلاق والأخرويات مثل الموت والبعث والحساب والخلود، فضلاً عن جهوده في وضع دعائم الكنيسة الكاثوليكية العالمية.

وهكذا أخذت المسيحية تنتشر انتشاراً حثيثاً بحيث لم يكد ينتهي القرن الأول إلا وكانت كل ولاية رومانية من الولايات المطلة على البحر المتوسط تضم بين جوانبها جالية مسيحية، بل أن المسيحيين كونوا جالية ملحوظة في روما نفسها منذ وقت مبكر إلى سنة ٦٤م مما عرضهم لنقمة الإمبراطور نيرو Nero (٥٤– ٦٨م) واضطهاده. وهنا نشير إلى أنه ليس من الواقع في شيء ما يظنه البعض من أن انتشار المسيحية في أوائل عهدها اتخذ اتجاهاً أفقياً فحسب، أعني بين الطبقات الفقيرة والمعدمة في المجتمع الروماني دون غيرها من الطبقات، إذ يثبت الواقع أن هذا الانتشار الأفقي صحبه انتشار آخر رأسي تصاعدي، من الطبقات الدنيا إلى الطبقات الراقية العليا التي تمثل الجانب الارستقراطي في المجتمع الروماني.

ويبدو هذا بوضوح في كتابات الرومان المعاصرين، فضلاً عن رسائل القديس بولس حقيقة أن الغالبية العظمى ممن اعتنقوا المسيحية في أوائل عهدها كانوا من الطبقة العاملة، وأن الطبقات العليا في المجتمع الروماني لم تقبل على اعتناق المسيحية في أعداد ضخمة إلا بعد أن تم الصلح بين الكنيسة والدولة بمقتضى مرسوم ميلان سنة ٣١٣، ولكن ليس معنى ذلك أن المسيحية عدمت أنصارا لها بين أفراد الطبقة الارستقراطية خلال القرون الثلاثة الأولى من عمرها.

العوامل التي ساعدت على انتشار المسيحية :

ويمكن ان نلخص عدة عوامل ساعدت على انتشار المسيحية وانتصارها تذكر أهمها :

١ – قوة إيمان المسيحيين الأوائل وجهودهم الفائقة في نشر المسيحية ، بما في ذلك استشهادهم برحابة صدر في سبيل انتصار عقيدتهم .

٢ – كانت المسيحية ديناً سماوياً عاماً لجميع البشر ولجميع الطبقات الاجتماعية دون تمييز ، في حين كانت اليهودية ديناً خاصاً لشعب (مختار) .

٣– سمو المفاهيم الأخلاقية في المسيحية .

٤– قصة حياة المسيح وتضحيته بنفسه في سبيل إنقاذ البشرية كان لها جاذبية مميزة وتأثير فعال في نفوس مختلف الشعوب .

٥ – الفراغ الروحي الذي تعانيه مجتمعات الامبراطورية الرومانية ، على الرغم من انتشار عقائد دينية متنوعة أهمها : عبادة الامبراطور الروماني ، عبادة مثرا إله النور الفارسي الأصل ، عبادة إيزيس المصرية ، عبادة سيبيل التي أصلها من آسيا الصغرى ، عبادة يهوه اليهودية العنصرية المنغلقة والمخصصة لشعب (مختار) . يضاف إلى ذلك بعض العقائد الفلسفية مثل الرواقية والأبيقورية والافلاطونية الحديثة التي ظل انتشارها محدوداً في الأوساط الثقافية .

٦–ساعد اتساع الامبراطورية الرومانية وخضوعها لسلطة مركزية في روما على انتقال المبشرين المسيحيين بأمان بين المدن والولايات الرومانية .

٧– ساعدت هيئة اللغة الآرامية (السريانية) في الوطن العربي ، واللغة اليونانية في القسم الشرقي من الامبراطورية الرومانية ، واللغة اللاتينية في القسم الغربي من الامبراطورية على انتقال التعاليم المسيحية بسهولة إلى مختلف أرجاء الامبراطورية ، حيث وجد مبشرون يتقنون هذه اللغات أو بعضها .

٨– كان الخوف من الموت يتملك البشر . لكن موت المسيح وبعثه حياً ، والايمان بعودته يوم القيامة ليبعث البشرية من الموت – كل هذا بعث في نفوس المؤمنين أملا بالعودة إلى الحياة ثانية، مما حبب إليهم الموت وجعله أمراً مألوفاً لديهم ، وعلى صخرة هذا الأمل قامت المسيحية.

٩– امتازت الإمبراطورية بشبكة واسعة من الطرق الضخمة التي ربطت مدنها وأطرافها برباط وثيق، فضلاً عن الأمن والسلام الذين سادا ربوعها، ونشاط التبادل التجاري بين مختلف أجزائها.

أخذت الحكومة الرومانية تغيّر نظرتها إلى المسيحيين، وتُعدّهم فئة هدامة تهدد أوضاع الإمبراطورية وسلامتها. والمعروف أن أية حكومة تُعد الاجتماعات السرية الخاصة التي يعقدها فريق من رعاياها أمراً يخشى منه على كيانها، لاسيما إذا كانت هذه الاجتماعات تضم الطبقات الفقيرة التي انتمى إليها معظم المسيحيين الأوائل، وبعبارة أخرى، فإنَّ سبب خنق الحكومة الرومانية على المسيحية كان اجتماعياً لا دينياً، لأن المسيحية بدت في صورة ثورة اجتماعية خطيرة تنادي بمبادئ من شأنها تفويض الدعائم التي قام عليها المجتمع الروماني.

وهنا نلاحظ أن نظرة الحكومات إلى الطوائف والجماعات الصغيرة تختلف عنها إلى الجماعات الكبيرة، بمعنى أن نظرة الحكومة الرومانية إلى المجتمعات المسيحية الصغيرة في أول الأمر كانت لا تعدو الاستخفاف بها والتهوين من أمرها، بعكس ما أصبح الحال عندما ازداد انتشار المسيحية وكثر أتباعها، وعندئذ تحولت نظرة الحكومة الرومانية إلى نوع من الخوف والشك في أمرها.

انتقال المسيحية الى روما:

بعد موت السيد المسيح قام تلاميذه الحواريون بإتمام رسالته التي عهد بها إليهم بقوله : (أذهبوا إلى العالم اجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها). وخرج هؤلاء التلاميذ من فلسطين وطفقوا ينشرون الديانة المسيحية في مختلف أنحاء سورية ومصر وآسيا الصغرى وغيرها من البلدان. وأشهر المبشرين بالدين المسيحي بولس تارسا ، الذي كان في السابق يهودياً أصله من كيليكيا ، كما كان خصماً للمسيحيين. كذلك بشر القديس مرقص في مصر وأسس فيها الكنيسة المسيحية. وأيضاً قام الحواريون الآخرون بنشر التعاليم المسيحية في مختلف البلدان .

ويحتوي (العهد الجديد) الأناجيل الأربعة وهي : إنجيل القديس متى ، إنجيل القديس مرقس، إنجيل القديس لوقا، إنجيل القديس يوحنا، يضاف إلى ذلك رسائل القديس بولس واعمال ورؤيا القديس يوحنا .

واشتهر أيضاً من تلاميذ السيد المسيح القديس بطرس [الاسم بطرس تعريب لكلمة بترا Petra في اليونانية ومعناها الصخرة ، وبطرس هذا كان اسمه سمعان ابن يونا] الذي يعد زعيم الحواريين، لأن السيد المسيح لقبه بالصخرة التي سيبني عليها كنيسته .

ويروى أن القديس بطرس أول من نقل المسيحية من سورية إلى مدينة روما وأسس فيها كنيسة مسيحية سرية، لكنه لقي فيها التعذيب ثم القتل على أيدي السلطات الرومانية في عهد الامبراطور نيرون.

اضطهاد المسيحيين :

بدأت الحكومة الرومانية تُعد اعتناق المسيحية جرما في حق الدولة، فمنعت اجتماعات المسيحيين وأخذت تنظم حملات الاضطهاد ضدهم. ولم يقم بهذه الموجة الاضطهادية ضد المسيحيين بعض الحكام المتعسفين المعروفين بجبروتهم مثل نيرون الذي قدم مسيحي روما طعاماً للنار العظيمة التي أشعلها سنة ٦٤م فحسب، بل شارك فيها أيضاً فئة من خيرة الأباطرة المصلحين المعروفين بحرصهم على تنفيذ القانون مثل تراجان وهادريان (Hadrian) (١١٧-١٣٨) وأنطونيوس بيوس (Antoninus Pius) (١٣٨-١٦١)، وماركوس أوريليوس (١٦١-١٨٠) .

على أنَّه يبدو أنَّ هذا الاضطهاد أتى بنتيجة عكسية، لأن روح الشجاعة والصبر والايمان التي واجه بها أنصار المسيحية مصيرهم أصبحت موضع إعجاب الكثيرين الذين أقبلوا هم الآخرون على اعتناق الديانة الجديدة. وهكذا لم يكد يحل القرن الثالث إلا وكانت المسيحية قد أصبحت قوة خطيرة نتيجة لازدياد عدد أتباعها ازدياداً مطرداً، مما دفع الإمبراطور دقلديانوس إلى التطرف في قمعها في أوائل القرن الرابع، لاسيما بعد أن أدى ازدياد نفوذ المسيحية بين رجال الجيش إلى التهديد بالقضاء على ولاء الجند للإمبراطورية.

وقد أصدر هذا الإمبراطور عدة مراسيم منع فيها صلاة المسيحيين وأمر بهدم كنائسهم وإحراق كتبهم، وحبس قساوستهم، وطردهم نهائياً من الوظائف الحكومية، إلى غير ذلك من الإجراءات المشددة التي جعلت المسيحيين يطلقون على الفترة الأخيرة من حكمه (عصر الشهداء). ويبدو أن هدف دقلديانوس من هذه السياسة كان محاولة اجبار الكنيسة – عن طريق الاضطهاد – على الخضوع للدولة، شأنها شأن بقية الهيئات والمنظمات الاجتماعية في الدولة الرومانية، وذلك لأنَّ قيام الكنيسة بوصفها هيئة مستقلة أو دولة داخل الدولة، أمر يتعارض مع المبدأ الأول الذي أقام عليه دقلديانوس نظامه وبنى إصلاحاته، والذي يقضي بخضوع جميع

الرعايا لسيادة الدولة المطلقة. وهنا نلاحظ أن اضطهاد الأباطرة والحكام لم يكن الخطر الوحيد الذي هدد المسيحية في هذا الدور من تأريخها ، بل كان على الديانة الجديدة أن تواجه عندئذ تهديداً خطيراً من جانب اليهود.

ومن أهم الأسباب التي دفعت السلطات الرومانية لاضطهاد المسيحيين هي :

١ – رفض المسيحيون عبادة الامبراطور الروماني وآلهة روما الوثنية ، وهذا الرفض يدل على عدم الولاء للدولة الرومانية وامبراطورها ، ويعده من العوامل المفككة لوحدة الامبراطورية .

٢ – بدت التعاليم المسيحية كأنها ثورة اجتماعية – اقتصادية ضد الاستغلال والتفاوت الطبقي السائد في الامبراطورية الرومانية آنذاك ، إذ قال السيد المسيح : "ما أعسر دخول ذوي المال إلى ملكوت الله ٠٠٠ مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني ملكوت الله) ... ولهذا تخوف الارستقراطيون الأغنياء من تلك التعاليم ، لأنها تشكل خطراً على مصالحهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

٣– تخوفت السلطات الرومانية من اجتماعات المسيحيين السرية لممارسة عبادتهم ، وخشيت أن تتحول حركتهم الدينية إلى حركة ثورية تقوض النظام القائم في الامبراطورية .

٤– اتخذ اليهود موقفاً عدائياً من المسيحيين ولفقوا التهم والافتراءات ضدهم كما حرضوا السلطات الرومانية على اضطهادهم ، لأن التعاليم المسيحية تتناقض في كثير من الأمور مع التعاليم اليهودية .

٥ – رفض المسيحيون تأدية الخدمة العسكرية الالزامية ، وهذا الرفض يشكل خطراً على تنظيم الجيش وولائه للإمبراطورية .

٦ – تخوفت السلطات الرومانية من انتشار المسيحية في الأراضي الخاضعة للدولة الفارسية – العدوة التقليدية للرومان – ، وخشيت أن يقف هؤلاء المسيحون إلى جانب الفرس في حروبهم مع الرومان.

ثانياً : **مرحلة الانتصار صدور مرسوم ميلان (٣١٣م):**

إن الاضطهاد العنيف الذي مارسه الامبراطور دقلديانوس ضد المسيحيين جعلهم يتمسكون بعقيدتهم أكثر فأكثر، ولمس الحكام الرومان الذين خلفوا دقلديانوس النتائج السلبية لسياسة اضطهاد المسيحيين، فقرروا العدول عنها .

اذ أخذ الإمبراطور قسطنطين الأول بسياسة الأمر الواقع فأصدر مرسوم ميلان الشهير سنة ٣١٣ معترفاً بوضع الديانة المسيحية كإحدى الشرائع المصرح باعتناقها داخل الإمبراطورية، بمعنى أن يتمتع المسيحيون في الإمبراطورية بكافة الحقوق التي تمتع بها غيرهم من أتباع الديانات الأخرى.

أن أهمية هذه الخطوة الجريئة التي أقدم عليها قسطنطين الأول واعترافه بالمسيحية والانتشار السريع لهذه الديانة الجديدة، وازدياد نفوذ رجالها، أصبحت الكنيسة أقوى العوامل التي ميزت تأريخ أوربا في العصور الوسطى.

ويمكن أن نضيف إلى هذا ما سبق أن أشرنا إليه في أنَّ قسطنطين الأول أتبع اعترافه بالمسيحية بنقل عاصمة الإمبراطورية من روما إلى القسطنطينية، وأنه هجر روما الخالدة إلى عاصمته الجديدة بالشرق، مما يشير إلى أن ثمة تغييراً أساسياً أخذ يعتري وجه العالم القديم، وأن العالم أصبح على أبواب عصور وسطى جديدة لم تعد فيها روما مركز الإمبراطورية من جهة، وأصبحت المسيحية ورجالها بمثابة القوة الفعالة في المجتمع الأوربي من جهة أخرى.

وقد اختلفت آراء الباحثين حول الحافز الذي دفع قسطنطين الأول إلى إصدار مرسوم ميلان، وهل جاء صدور هذا المرسوم عن عقيدة صادقة وإيمان بالمسيحية، أم هو مجرد إجراء سياسي اتخذه قسطنطين الأول لتحقيق مآرب خاصة؟ والواقع أنه توجد أدلة كثيرة تثبت إيمان قسطنطين الأول بالمسيحية، كما توجد أدلة أخرى عديدة توضح استمرار اعتقاده بالوثنية، وذلك لأن عدد المسيحيين عندئذ لم يتجاوز عشر مجموع سكان الإمبراطورية، الأمر الذي يؤيد الرأي الأول القائل بأن قسطنطين الأول اتخذ قراره عن شعور ديني لا بدافع المصلحة السياسية على أننا إذا تأملنا الموقف قليلاً وجدنا أن المسيحية كانت أوسع انتشاراً وأشد تركيزاً في الشرق منها في الغرب، بحيث أن آسيا الصغرى غدت من المراكز الرئيسة للمسيحية في القرن الرابع.

ومهما يكن من أمر، فإنَّ مرسوم ميلان سنة ٣١٣ جعل من المسيحية ديانة مرخصة، كما ساوى بينها وبين غيرها من الديانات الأخرى داخل الإمبراطورية الرومانية، وتعهد بحماية أرواح المسيحيين وممتلكاتهم، أسوة ببقية رعايا الإمبراطورية، فضلاً عن ذلك أعادت الامبراطورية جميع أملاك الكنيسة التي كانت قد صادرتها في السابق، ومن هذا يبدو أن سياسة قسطنطين الأول الدينية تمثل حلقة انتقال، كما أنها تعبر عن تطور فكري أكثر منها عن تحوّل روحي، ذلك أنه تسامح مع المسيحيين في الوقت الذي لم يضطهد الوثنيين، ومن هذا الطريق حاول أن يمسك العصا من وسطها ليحقق نوعاً من التوازن بين المسيحية والوثنية.

الهرطقة:

تعرضت الكنيسة الى العديد من حركات الانشقاق منذ فجر تأريخها ، والمقصود بالهرطقة: هي البدعة، أو الخروج على العقيدة المعترف بها من قبل الكنيسة، أو الخروج على جزء منها ، فالهرطقة انشقاق وخلاف روحي وثقافي ليس له صلة بالقضايا الاخلاقية أو بالمعاصي مهما كانت كبيرة.

إن عهد الإمبراطور قسطنطين الأول يمثل ظهور عدة تيارات دينية متضاربة، إذ لم يقتصر فيه الوضع على التطاحن بين المسيحيين والوثنيين، بل انقسمت المسيحية الناشئة على نفسها بين أريوسيين وأثناسيوسيين، مما جعل كل فريق يعمل للفوز والحصول على أكبر قدر ممكن من الامتيازات على حساب المذهب الآخر . وهنا وجد قسطنطين الأول فرصته فحاول أن يرضي الجميع دون أن يغضب فئة أو مذهباً .

وهكذا أعترف قسطنطين الأول بالمسيحية بمذهبيها دون أن يتنكر لديانة الدولة، أو يتخلى عن عبادة الإمبراطور التي كانت مصدراً أساسياً لقوة الأباطرة ونفوذهم، وبعبارة أخرى فإن قسطنطين الأول اختار أن يقيم قوته السياسية على ثلاث دعائم رئيسة هي: العبادة الإمبراطورية، والعقيدة الأريوسية، والعقيدة الأثناسيوسية، كما يتضح ذلك من سياسة الإمبراطور وتصرفاته، وذلك لأنه احتفظ بعبادة الوثنية القديمة وبرجالها ومعابدها وطقوسها ، كما احتفظ كأسلافه من الأباطرة بلقب الكاهن الأعظم، أما بلاطه فقد أصبح يغص بالأساقفة والقساوسة من مختلف المذاهب المسيحية، جنباً إلى جنب مع الكهنة والفلاسفة الوثنيين.

هذا في الوقت الذي صارت وظائف الدولة الكبيرة قسمة بين الوثنيين والمسيحيين، كما نقشت على نقوده شارات المسيحية والوثنية. أما عن حياته الخاصة فإن قتل قسطنطين الأول لزوجته وولده يدل على أنه لم يتأثر أطلاقاً بتعاليم المسيحية وأخلاقها. وهكذا يمكن القول بأن قسطنطين الأول ظل حتى أواخر حياته وثنياً مع الوثنين واثناسيوسيا مع الأتناسيوسيين وأريوسيا مع الأريوسيين.

شهدت المسيحية منذ أوائل عهدها خلافات مذهبية خطيرة كان لها أثر عظيم في تاريخ الشرق والغرب جميعاً، وهنا نلاحظ أن الخوض في المسائل اللاهوتية لم يقتصر في القرن الرابع على رجال الدين، وإنما كان أمراً مباحاً وموضوعاً مفتوحاً أمام الجميع، وخير شاهد في ذلك ما كتبه القديس جريجوري أسقف نيسا (٣٤٠-٤٠٠) عن القسطنطينية، إذ يصف العمال والعبيد في هذه المدينة بأنهم جميعاً من المشتغلين باللاهوت، فإذا قصدت صرّافاً لاستبدال قطعة نقود أوقفك ليروي لك أوجه الخلاف بين المسيح الابن والإله الأب، وإذا ذهبت لشراء رغيف خبز أخبرك صاحب المخبز بأن الابن يجب أن يكون دون الأب، وإذا طلبت من الحمامي أن يُعدُّ لك الحمام أجابك بأن الابن وجد من لا شيء.

أما المشكلة الكبرى التي قسمت المسيحيين، وبالتالي العالم الروماني إلى معسكرين وأثارت البغضاء الدينية والسياسية بينهما لمدة قرنين من الزمان، فكانت مشكلة تحديد العلاقة بين المسيح الابن والإله الأب وذلك أنه حدث خلاف بين اثنين من رجال الكنيسة بالاسكندرية حول تحديد هذه العلاقة، فقال أريوس – وهو كاهن اسكندري ومنه اشتقت الاريوسية – بأنَّ المنطق يحتم وجود الأب قبل الابن، ولما كان المسيح الابن مخلوق للإله الأب فهو إذاً دونه، ولا يمكن بأي حال أن يعادل الابن الإله الأب في المستوى والقدرة، وبعبارة أخرى فإنَّ المسيح مخلوق لا إله بمعنى هذه الكلمة المطلق، وإلا فإن المسيحيين يصبحون متهمين بعدم التوحيد وبعبادة الهين. أما اثناسيوس فقال بأن فكرة الثالوث المقدس تحتم بأن يكون الابن مساوياً للإله الأب تماماً في كل شيء بحكم أنهما من عنصر واحد بعينه، هذا وإن كانا شخصين متميزين. ويبدو أن الأثناسيوسيين أدركوا أن المسيحية تعتمد في دعوتها على مكانة المسيح ، وأن أي اتجاه نحو التقليل من مركزه يؤدي إلى إضعاف الدعوة المسيحية. وهكذا كان أنصار أريوس من الموحدين.

وكان قسطنطين الأول قد قسم الإمبراطورية قبل وفاته بين ابنائه الثلاثة، فأخذ قسطنطين الثاني الغرب وأخذ قسطنطيوس الشرق، في حين كانت اليريا والجزء الأوسط من شمال افريقية من نصيب قسطانز، وهنا نجد كل حاكم من هؤلاء الحكام الثلاثة يعمل على توطيد نفوذه عن طريق المذهب السائد في بلاده، فاتجه قسطنطيوس نحو تشجيع الأريوسية، في حين دأب أخواه على تأييد الأثناسيوسية، مما جعل الخلاف المذهبي يتطور إلى انقسام في الكنيسة بين الشرق اليوناني والغرب اللاتيني.

صحوة الوثنية:

أما عن موقف الوثنية المتداعية في هذه الحقبة، فقد رأينا كيف ظل قسطنطين الأول حتى وفاته سنة ٣٣٧ يتخذ موقفاً وسطاً بين المسيحية بمذهبيها من جهة والوثنية من جهة أخرى، ولكن حدث أن أبناء هذا الأمبراطور خالفوا أباهم واختاروا عدم الاستمرار في مجاملة الوثنية وأهلها ، بل شنوا عليها موجة عنيفة من الاضطهاد، فصادروا ما لمعابدها من أراض وممتلكات، حتى إذا ما حلت سنة ٣٤٠ منع الأباطرة الثلاثة تقديم القرابين لآلهة الوثنية، ثم أغلقت معابدها بعد ذلك بعدة سنوات.

على أن الوثنية لم تستسلم بسهولة مطلقة، إذ أبت إلا أن تصحو من جديد، وذلك عندما تولى حكم الإمبراطورية جوليان المرتد الذي كان متمسكاً بأهداب الحضارة اليونانية الوثنية، فتخلى عن المسيحية سراً قبل أن يتولى منصب الإمبراطورية. ولم يكد يتولى هذا المنصب عقب وفاة الإمبراطور قسطنطيوس سنة ٣٦١، حتى أعلن ارتداده عن المسيحية، وأخذ يعمل على تخليص الوثنية من المحنة التي تعرضت لها نتيجة لسيادة المسيحية عليها، ولذلك أمر بفتح معابد الوثنية التي أغلقت وفقاً لمرسوم قسطنطيوس. ويبدو لنا من واقع الحقائق التاريخية أنَّ الإمبراطور جوليان المرتد اراد أن يحقق نوعاً من المساواة والتوازن بين المسيحية والوثنية، وفقاً للغرض الذي املى إصدار مرسوم ميلان سنة ٣١٣، ويمكننا أن نحكم على جوليان المرتد حكماً أكثر اتزاناً إذا علمنا أنه أمتدح بعض المبادئ الكريمة التي نادت بها المسيحية مثل الإحسان والرحمة والعطف على الفقراء والمرضى، حتى أنه كتب إلى أحد الكهنة الوثنيين يخبره في صراحة تامة بأن الوثنية تفتقر إلى مثل هذه الصفات الحميدة.

على أن هذا الشعور لم يمنع الإمبراطور جوليان المرتد من العمل على رفع شأن الوثنية حتى لا تبدو في مستواها دون المسيحية، فأعاد تنظيم رجال الدين الوثنيين وفق النظام المعمول به في الكنيسة، وعنى بالمعابد الوثنية وزينتها حتى لا تبدو أقل جمالاً من الكنائس. وفي الوقت نفسه منع جوليان المرتد رجال الكنيسة من السفر مجاناً على حساب الحكومة، كما أخذ يستبعد المسيحيين تدريجياً من وظائف الجيش والإدارة ليحل الوثنيين محلهم.

ولكن يبدو أن هذه الصحوة التي مرت بها الوثنية على عهد الإمبراطور جوليان المرتد لم تكن إلا صحوة الموت، إذ لم يلبث المسيحيون أن استردوا في عهد الامبراطور جوفيان مكانتهم وامتيازاتهم التي حرمهم منها جوليان المرتد . ثم جاء الإمبراطور جراتيان عام ٣٧٥ فتخلى عن لقب الكاهن الأعظم الذي تمسك به جميع الأباطرة السابقين، بل أن هذا الإمبراطور سرعان ما استأنف سنة ٣٨٢ سياسة مصادرة ممتلكات المعابد الوثنية. حقيقة أن هذه الإجراءات لا تعني القضاء على الوثنية قضاء تاماً مبرماً، إذ ظلت الوثنية قوية – وبصفة خاصة في الغرب وروما – حيث استمرت تشيد لها المعابد حتى أواخر القرن الرابع، ولكن تشييد المعابد الوثنية في هذه الفترة المتأخرة أصبح لا يتم على نفقة الحكومة كما كان الحال من قبل، ثم كانت بداية التطرف في استخدام القوة والعنف ضد الوثنية وأهلها على عهد الإمبراطور ثيودسيوس الأول الذي نجح في توحيد العالم الروماني سنة ٣٩٤.

وقد استمرت الحرب التي بدأها ثيودسيوس الأول ضد الوثنية مدة ثلاثين سنة بعد وفاة هذا الإمبراطور، أقفلت فيها معابد الوثنيين، وأعدمت كتبهم، ومنعوا من مباشرة طقوسهم الدينية حتى داخل منازلهم، بل أن الإمبراطور أركاديوس أصدر مرسوماً بتحطيم معابد الوثنية – لا إغلاقها فحسب – واستغلال أحجارها وموادها في إقامة منشآت عامة. وعندئذ أدركت الوثنية قرب مصيرها المحتوم فلم تجد بدأ من الفرار والالتجاء إلى مناطق العزلة النائية في إيطاليا وغاليا. وهكذا ظل الحال حتى القرن السادس، وأغلق جستينيان الأول مدارس الفلسفة في أثينا بوصفها ركناً من أركان الوثنية.

نشاط البابوية:

إن التيار الذي انساقت فيه الكنيسة، ومحاكاتها لنظم الحكومة الإمبراطورية تطلب قيام شخصية عظيمة على رأسها كما كان للإمبراطورية إمبراطور يتزعمها، وهنا نلاحظ فارقاً واضحاً بين الشرق والغرب، ففي الشرق سلمت الكنيسة زمام أمورها للأباطرة الذين ازداد تدخلهم في شؤون الكنيسة وبخاصة فيما بين القرنين السادس والثامن بحيث اصبحوا يتدخلون لا في سياسة الكنيسة الخارجية فحسب، بل في نظمها وسياستها الداخلية أيضاً.

وهكذا أصبح من العسير وقف تدخل الإمبراطور البيزنطي في شؤون الكنيسة الشرقية، حتى غدا امبراطور القسطنطينية يمثل نوعاً من القيصرية البابوية أي الجمع بين السلطتين السياسية والدينية. ومن الواضح أن هذه السياسة وضع أسسها قسطنطين الأول نفسه منذ اعترافه بالمسيحية وبنائه القسطنطينية. واسن سنة جديدة اتبعها خلفاؤه من الأباطرة الشرقيين، هي قيام الإمبراطورية بدعوة المجامع الدينية العامة لبحث مختلف المشاكل المتعلقة بالكنيسة والعقيدة المسيحية.

أما في الغرب فإنَّ الوضع اختلف عن ذلك كثيراً لأن الإمبراطورية الغربية أصبحت بعد تقسيم العالم الروماني ضعيفة لا تستطيع أن تفرض سيطرتها على الكنيسة والدولة جميعاً كما حدث في الشرق. وسرعان ما وجدت الكنيسة الغربية ضالتها في شخص أسقف روما الذي تحوّل كرسيه إلى بابوية لها السيادة العليا على الكنيسة في مختلف بلدان العالم الغربي.

وليس من العسير علينا أن نكشف العوامل التي هيأة لأسقف روما هذه الأهمية والزعامة على غيرها من أسقفيات الغرب. ذلك أنه من المعروف أن أهمية الأسقف تتناسب عادة والأهمية السياسية والاقتصادية للمدينة التي يقوم فيها كرسيه الأسقفي. فإنَّ الغرب لم يوجد به في هذه المرحلة الأولى من تاريخ المسيحية سوى روما اذ كانت ذات ماضي عريق وشهرة واسعة وصيت ذائع، لهذا ليس من الغريب أن يتمتع أسقف روما بمكانة خاصة مستمدة من أهمية مدينته، حتى استغل أساقفة روما هذه الأهمية والمكانة في تحقيق نوع من السمو أو الزعامة على بقية أسقفيات الغرب. هذا مع ملاحظة أن أساقفة روما لم يتمكنوا من تحقيق هذه السيادة في سهولة، إذ تعرضوا لكثير من ألوان المعارضة والمقاومة من بقية أساقفة الغرب لا سيما أساقفة قرطاجة.

أما إذا انتقلنا إلى التنافس بين روما والقسطنطينية حول الزعامة الدينية على العالم المسيحي، فإن القسطنطينية اعتمدت على أنها مركز الأباطرة ومحل إقامتهم، وبالتالي يحق للبطريرك فيها أن تكون له الزعامة الدينية على العالم المسيحي، كما كان لإمبراطورها الزعامة السياسية. ولكن هذا الرأي صادف معارضة من القائلين بأن تراث المسيحية انتقل عن طريق الرسل والحواريين وظل محفوظاً في الكنائس التي أسسوها، وبخاصة في أنطاكيا والاسكندرية وروما . وهنا تبدو القسطنطينية مفتقرة إلى مثل هذا التشريف، لأن أحداً من الرسل لم يشرفها بالذهاب إلى موضعها أو الاستشهاد قربها، أو تأسيس كنيسة في منطقتها، لأن القسطنطينية نفسها لم تؤسس إلا في القرن الرابع. أما روما فيكفيها فخراً أنها ارتبطت ارتباطاً أبدياً بذكرى القديس بطرس الذي يُعدُّ زعيم الحواريين ، فإن خلفاءه – أساقفة روما – أحق الناس بأن يرثوا زعامة العالم المسيحي.

وهكذا سارت الأمور حتى تحققت للبابوية سيادتها الفعلية في صورة عملية عالمية على عهد البابا جريجوري الأول الذي دانت لنفوذه الكنيسة الغربية بأكملها، وذلك بوصفه خليفة للقديس بطرس. أما الشرق فقد ظل على عناده مستقلاً بإمبراطوريته وكنيسته عن الغرب.

وكان هناك خلاف حول تفسير بعض المسائل الدينية مثل تفسير طبيعة السيد المسيح اذ عدت من العوامل التي زادت من اتساع الفجوة بين الكنيستين الشرقية والغربية، فقد إذ أدانت بعض المجاميع الدينية مثل مجمع أفسوس سنة ٤٣١ الرأي القائل بفصل طبيعة المسيح الالهية عن طبيعته البشرية، وظهرت جماعة من رجال الكنيسة يتزعمهم أقطاب الكنيسة المصرية، تمسكوا بمبدأ الطبيعة الواحدة للمسيح ومن ثم أطلق على هذا المذهب (الطبيعة الواحدة). واستمرت هذه المشكلة لتمثل سبباً جديداً للخلاف الديني والتباعد بين الشرق والغرب.

تاريخ العصور الوسطى

مدرس المادة: محمد مجيد / قسم التاريخ / كلية التربية للعلوم الانسانية / جامعة الحمدانية

عنوان المحاضرة

عصر الاقطاع: مؤسساته وعوامل انحلاله

النظام الإقطاعي:

هو نوع من أنواع الأنظمة الاقتصاديّة والسياسية التي ظهرت في كل من أوروبا الوسطى والغربية خلال فترة العصور الوسطى، ويعتمد على مُلكيّة الأفراد من الطبقة الإقطاعية للأراضي التي تشكل الوسائل الإنتاجية، ومن ثمّ حرصهم على استغلال الفلاحين للعمل فيها؛ حيث كانت الأراضي في تلك الحقبة الزمنية هي الوسيلة الأساسية للإنتاج، وشملت الأملاك الإقطاعية كُلاً من أراضي القُرى والمُدن، واستغلّ الإقطاعيون –بالاعتماد على هذه المُلكيّة– الأرض والفلاحين الذين يعانون من الفقر، كما حدّدَ هذا النظام نوعية طبقات الأفراد في المجتمع؛ ممّا أدّى إلى ظهور مصطلح المُجتمع الإقطاعي.

ساد على هذه الفترة الظلام الدامس في جميع أنحاء أوروبا، وكان للكنيسة الحكم المطلق على البلاد، وكانت الكنيسة تتدخل وتحكم الأمور السياسية تحت راية الدين، وفي هذا الوقت كان المسلمون يعيشون حالة من الازدهار في كافة العلوم.

أركان النظام الإقطاعي:

اعتمد تطبيق النظام الإقطاعي على وجود ركنين رئيسيين خاصة فيه، وتُقسم إلى الآتي:

اولاً: المجتمع القروي: شَكّل المُجتمع القروي الفئات التي عاشت على زراعة الأراضي؛ عن طريق الاعتماد على التعاون المُشترك بين الناس، ويُقسم هذا المُجتمع إلى الأقسام الآتية:

الفلاحون: هم الأفراد المُوزعون بين الأحرار والعبيد، وشكّلت غالبيتهم في القرنين التاسع والعاشر للميلاد منطقة وسطى بين العبيد والأحرار، ومن ثمّ ظهرت جماعة جديدة عُرفت باسم الأقنان، وفيما يأتي معلومات عن فئات الفلاحين:

الأحرار: هم أصحاب أراضٍ ولا يلتزمون بأيّ قيود للإقطاعيين، وشكّلوا نسبة ٤% من إجمالي عدد الفلاحين الذين يعملون في زراعة الأراضي في إنجلترا، بينما كانت نسبتهم أكبر في كل من القسم الجنوبي من فرنسا، والقسم الشماليّ من إيطاليا، والقسم الغربيّ من ألمانيا.

العبيد: هم الذين كانوا يعملون في منازل الإقطاعيين ومن ثمّ أصبحوا يعملون في زراعة الأراضي، وكان عملهم في البداية مُقتصراً على تقديم الخدمات للمنازل في إنجلترا، ولم تكن لهم أهمية في فرنسا، مقارنة مع ألمانيا التي شهدت ارتفاعاً في نسبتهم.

الأقنان: هم الأشخاص الذين كانوا أحراراً، ومن ثمّ أُرغِموا نتيجةً لظروفهم المعيشيّة على التضحية في حُرّيتهم.

ثانياً: نظام الدومين: اشتُقّت كلمة الدومين من الأصل اللاتينيّ (Dominuis) ومعناه السيد المالك، وأُطلق عليه عدّة مسمّيات وألقاب في أوروبا، مثل السيد والبارون، كما عُرفت كلمة الدومين بمعنى كافة أملاك الإقطاعيين.

ويعتمد نظام الدومين على تقسيم الأراضي إلى قسمين؛ حيث ينتفع صاحب الأرض بأحد هذه الأقسام، أما القسم الآخر يوزع على الفلاحين مقابل تقديمهم خدمات للإقطاعيين، ومع مرور الوقت ازدادت سلطة الإقطاعيين فأصبحوا حاجزاً يفصل بين الفلاحين في الدومين وحكومات الدول.

المكونات الاساسية للأقطاع:

أولاً: التبعية :

يقصد بها العلاقة التي تربط بين السيد والمسود والتي يتم فيها الاتفاق على ان يُدافع المسود عن السيد ضد أي خطر يواجه في حين يقوم السيد بحماية المسود في جميع مشاكله الحياتية وهذه الفكرة قد جاءت من الأصل الجرماني، إذ انقسم المجتمع الإقطاعي في العصور الوسطى الأوربية على قسمين: الطبقة الارستقراطية الإقطاعية والتي تتألف من النبلاء واتباعهم، وطبقة الأقنان والعبيد، هذا وتقوم التبعية على أساسين مهمين هما: (الولاء والإخلاص).

ثانياً: الضيعة:

هي قطعة زراعية تستثمر اقتصادياً بهدف تحقيق المنافع سواء الحياتية أو في التسويق ويتم الاستثمار بتعهدات عرفية أو تعاقدية بين السيد والمسود، وتعود فكرتها الى الرومان والذين عرفوا بتملك الأرض المؤقتة من قبل الأشخاص وأصبحت فيما بعد وراثية داخل الأسرة الواحدة،

والضيعة تعيش على ما تنتجه الأرض وفق سياسة اكتفاء ذاتي وتتم التجارة عن طريق المقايضة على اساس النوع لا النقد، لذا فقد احتكر الإقطاعي مؤسسات الإقطاعية ومنها المعصرة المطحنة المخبز الصناعة اليدوية وتكاملت معه وحدات الانتاج الأساسية والتي يحتاجها السيد الإقطاعي داخل الضيعة.

ثالثاً: السلطة القضائية:

أصبحت وحدة الإنتاج هي الدومين أي المكان أو المقر الإقطاعي إذ لا يحق للسيد الإقطاعي ان يُصادر ما في حوزة التابع أو ان يتصرف بأرضه كما يشاء وذلك لأن حقوق التملك والتصرف وضحتها قوانين عُرفت بـ (العقود الإقطاعية) ولاسيما ان السيد الإقطاعي ينتمي الى طبقة ارستقراطية فقد جاءت سلطة امراء الإقطاع على اعتبارهم اتباع الإمبراطور لذا فقد تمتعوا بامتيازات وصلاحيات حكومية واسعة وعليه فإن مجتمع الإقطاعية لم تحكمه قوانين أو تشريعات محددة وإنما يعتمد على الأعراف والتقاليد التي حددتها العقود الإقطاعية فقد نشأت ثلاث سلطات أو محاكم تمثلت بـ (الدينية، الملكية، ومحكمة السيد الإقطاعي)، وكان التحكيم عادة يتم عن طريق المبارزة بين الخصمين أمام الجمهور ومن ينتصر يعد صاحب الحق.

رابعاً: التعهدات الإقطاعية:

من المعلوم ان الروابط التي نشأت بين السيد والمسود كانت تصب في مصلحة الاثنان فالأول أي (السيد) هو من يوفر المعيشة لحياة الثاني أي (المسود) والذي بدوره يُدافع عن الأول ضد الأخطار ويُقدم له المساعدة والمشورة والتي تتضمن إما مساعدة عسكرية أو مساعدة مالية أو يُقدم استشاراته في قضايا الحرب والسلم وجباية الأموال وقضايا القضاء.

خامساً: الوراثة الإقطاعية:

وتنص في حال توفي التابع أي المسود صاحب الإقطاعية تكون الأرض لإبنه الأكبر مقابل ان يدفع المسؤولية المالية ويتعهد بالالتزام بنظام التبعية أمام سيده وتُعرف هذه العملية بـ (الخلاص)، أما اذا لم يكن للتابع الإقطاعي ابن أو ابنة فتصبح الى السيد الإقطاعي مباشرة، أما

مصطلح الوقف الذري فيعني مراعاة مصالح جميع الورثة بأن تقسم أرض المتوفى بينهم على ان يتحمل أكبر الورثة عمراً وأرشدهم عقلاً مسؤولية وحدة الإقطاعية مع التبعية والولاء للسيد الإقطاعي.

سادساً: وحدة انتاج الإقطاعية:

وهي الدومين سواء أكانت في الضيعة أو في القرية والمنتجون هم صنفين أقنان أو عبيد ويُقصد بالقن عامل في الضيعة زراعي أو غير زراعي إذ ان زيادة عدد الأقنان قد أدى ظهور نظام جديد عُرف بـ (القنانة) وهو التأريخ الاقتصادي في العصر الوسيط، إلا ان وضع القن قد تحسن بعض الشيء إذ أصبحت له أرض يزرعها ويأكل غلتها ويمنح حقوقها شرط ان يعمل ثلاثة أيام مجاناً في خدمة أراضي سيده.

سابعاً: الفروسية:

أدرك الأوربيون أهمية ان تكون لهم مؤسسة عسكرية ارستقراطية ترتبط بالأرض حتى تصبح رمزاً دينياً وجهازاً طبقياً ومظهراً اجتماعياً فقد تميزت الفروسية بثلاث مراحل وهي:

المرحلة الأولى: كان الصبي يؤخذ في عمر السابعة أو الثامنة بعيداً عن أهله ليعيش عند سيده الإقطاعي ويتعلم خبرة الحياة الارستقراطية والسلوك الاجتماعي لسيده ثم يصبح بعدها مراسلاً بين سيدات القصر ثم مساعداً للفرسان ويُسمى في هذه المرحلة بـ (الوصيف).

المرحلة الثانية: عند بلوغه الرابعة عشر من عمره يُلقب بـ (عامل الترس) ومعنى ذلك انه يلازم أحد الفرسان ويهتم بأسلحته ويُساعده في القتال وبذلك يكون قد تعلم فنون القتال الى جانب الفرسان.

المرحلة الثالثة: وفي الثامنة عشر من عمره يُجهز عامل الترس بالسيف والرمح ويبدأ تدريباته الحربية وعندما يتفوق يُلقب بـ (الفارس)، ويُمكننا القول ان الفروسية كمؤسسة عسكرية كانت قد قدمت للمجتمع الأوربي خدمات متعددة لاسيما اذا ما أخذنا بنظر الاعتبار دورها في نشر المسيحية في جنوب غرب أوروبا وفي شمال شرقها وأصبحت ذات رصيد ثقافي وحضاري في العصور الوسطى الأوربية.

ولم تتجل حالة العبودية للنظام الإقطاعي في مبدأ المُلكية فقط، بل في مبدأ التبعية بصورة أوضح، حيث فرضت تبعية الأقنان للسيد الإقطاعي مجموعة من الواجبات، تُقسم إلى أربعة أقسام:

أولاً: الخدمات: وهي أعمال السخرة التي يفرضها السيد على أقنانه، وتقسم إلى ثلاثة أنواع:

١- السخرة الأسبوعية: إذ كان يفرض على القن أنْ يعمل ثلاثة أيام في أرض السيد الخاصة، كما يعمل ثلاثة أيام في أرضه التي استلمها من السيد الإقطاعي. أما يوم الأحد، فقد كان العمل فيه محرماً بأمر من السلطات الدينية العليا.

٢- السخرة الفصلية: ومنها حصاد زرع السيد وجمع محصوله.

٣- السخرة العامة: ومنها شقّ الطرق وحفر الخنادق وإنشاء الجسور.

ثانياً: المقررات: وهي الضرائب الماليّة المتنوعة: ضريبة الرأس: إذ ترتب على كل قن أنْ يدفع سنوياً للسيد صاحب الأرض ضريبة بسيطة نقدية، أو ضريبة عينية، الغرض منها أنْ تكون رمزاً للعبودية أو التبعية.

ثالثاً: ضريبة العشر: لقد ترتب على القّن أيضاً أنْ يدفع عشر إنتاج الأرض من الحبوب والخضار والثمار، وعشر إنتاج الماشية والطيور والأسماك المصطادة.

رابعاً: الاحتكارات: احتكر السيد الإقطاعي لنفسه بعض المؤسسات، وفرض على أقنانه التعامل معها، ومن أهم هذه المؤسّسات الاقتصادية (الطاحونة، والفرن، والمعصرة، وبئر الماء) حيث كان عليه أنْ يطحن قمحه في طاحونة السيد، وأنْ يخبز عجينه في فرن السيد، وكان عليه أنْ يعصر زيتونه وعنبه في معصرة السيد، وذلك مقابل أجر معين نقدي أو عيني.

عوامل ظهور نظام الاقطاع في اوروبا:

أولاً: الحروب :

الحروب الكثيرة التي كان يَخوضها الملوك، إمَّا ضِدَّ بعضهم، وإمَّا ضِدَّ أعداءٍ من الخارج. فلقد أدَّت هذه الحروب إلى ازدياد أهمية فئة العسكريين المُحترِفين، وزيادة عدد أفرادها. ونظرًا إلى أنَّ الملوك لم يكن لدَيهم دائمًا المال الذي يكفي لمُكافأة هؤلاء المُحاربين، ولا سيَّما

القادة منهم، على خِدماتهم، فقد كانوا يَمنحونَهم قِطعًا من الأرض جزاءً لهم على حُسن بلائهم في الحروب. ولم تكن هذه المِنَح في البداية على شكل مِلكيَّة دائمة، بل كانت تُعطي المُحارب حقَّ الانتفاع من الأرض، ثم تَحوَّل هذا الحقُّ فيما بعدُ إلى مِلكيةٍ دائمة.

وممَّا ساعَد على هذا التحوُّل أن صغار الفلاحين كانوا يَحتمُون بالمالِك الكبير ضِدَّ أخطار الضرائب وعدَم الاستقرار، ورغبةً منهم في الشعور بمزيدٍ من الأمن. وهكذا كان الفُرسان المُحاربون من أهمِّ العناصر التي تكوَّنت منها طبقةُ الإقطاعيين في العصور الوسطى، وكان لهذه الحقيقة أثرها البالِغ في صَبْغ القِيَم الفكرية في عصر الإقطاع الأوروبي بطابعها الخاص.

ثانياً: الكنيسة:

كان كبار رجال الكنيسة والأديرة يسيطرون على مساحاتٍ شاسعة من الأرض، قُدِّمت إليهم بوصفِها هِباتٍ أو منحاً أو هدايا، فضلًا عن أن الإعفاءات الضريبية والتسهيلات الكثيرة التي كانوا يتمتعون بها قد ساعدتهم على استثمار ثرواتهم ومضاعفتها، حتى أصبحت أملاك الكنيسة تُكوِّن نسبةً كبيرة من الأراضي الخاضعة للإقطاع، كما أصبح رجال الدين من أهم عناصر الطبَقة الإقطاعية في العصور الوسطى.

ولقد كان هذا الأصل المزدوج لنظام الإقطاع في الغرب، أعني انتماء الإقطاعيين إلى فئة الفُرسان المُحاربين من جهة، وإلى فئة كبار رجال الدين من جهةٍ أخرى، كان هذا الأصل المزدوج هو الذي يُعلِّل مجموعة القيم والعادات العقلية التي سادت المجتمع الإقطاعي في العصور الوسطى.

ثالثاً: ضعف السلطة :

ضعف السلطة المركزية في العصور الوسطى، وعدم وجود حكومة مُسيطرة وإدارة حكومية قوية لها سُلطة تنفيذية كاملة. وهكذا كان الإقطاع يقوم بمُهمّة حماية أرواح الفلاحين ومُمتلكاتهم (إن كانت لهم مُمتلكات)، وهو أمر كانت له أهميته البالغة في عصر لم يكن فيه من مصدرٍ للثروة سوى الأرض، وكان دَور التجارة والصناعة في الإنتاج محدوداً إلى أبعد حد. ولكنه كان يتقاضى ثمن هذه الحماية باهظاً، إذ كان الفلَّاحون المُشتغِلون بأرضه رَقيقاً لهذه الأرض،

وكانت حقوقهم ضئيلة جداً، وواجباتهم باهِظة فادِحة، ولم تكن أمامهم أية سُلطة يحتكمون إليها إذا زاد طُغيان المالك الإقطاعي عن الحد، إذ كان هذا الإقطاعي هو الخَصم والحكم في آنٍ واحد.

رابعاً: رجال الدين:

أسهم رجال الدِّين بدَورهم في إكمال صورة العصر الإقطاعي الغربي، فنَشروا بين عامَّة الناس «قِيَم الزُّهد» وصَوَّروا حياة الإنسان على هذه الأرض بأنها مرحلةٌ عابرة، لا ينبَغي أن يُولِيَها اهتماماً كبيراً؛ ومِنْ ثَمّ كانت أفكارهم مُنصرفة عن هذا العالَم، زاهِدة فيه، ولم تكن لأوْجُه النشاط المُتعلِّقة بهذه الحياة من قِيمة سوى أنها تُهيئ الإنسان للحياة الأخرى الباقية. على أن هذه القِيَم كانت في واقع الأمر مُوجَّهةً نحوَ عامَّة الشعب؛ أمَّا رجال الدين أنفسهم فكان الكثيرون منهم يعيشون حياةً لا صِلةَ لها على الإطلاق بما يَدعُون الناس إليه؛ إذ إنهم كانوا يستمتعون بكلِّ مَباهِج الحياة، ولم يكن إصرارُهم على تأكيد قِيَم الزُّهد إلَّا تَغطيةً لنَمَط حياتهم الذي كان أبعدَ ما يكون عن الزُّهد. والمُهِمُّ في الأمر أن انتشار أفكار الخضوع والولاء والرِّضا بالقليل كان يرجِع إلى تأثير رجال الدين بقدْر ما كان يرجِع إلى تأثير النُّبلاء الإقطاعيين.

موقف الكنيسة من النظام الإقطاعي:

لقد كانت الكنيسة داعمة لهذا النظام الإقطاعي بمواقفها وأموالها، فبينما ظلت تنظر إلى الكسب التجاري على أنَّه غير حلال، نظرت إلى الأراضي الزراعية على أنَّها وحدها هي المورد الطيب الذي يمكن أنْ يعيش عليه الإنسان. ونظرًا لاهتمام الكنيسة بالأرض، فقد سعت للسيطرة على مساحات كبيرة منها، وقد حصلت من الملوك على إقطاعات مشابهة تماماً للإقطاعات التي كان يحصل عليها السادة الإقطاعيون، وقد سعت الكنيسة لاستثمار هذه الإقطاعات بما يخدم مصلحتها العامة، ولم يرَ رجال الكنيسة حرجاً في استثمار هذه الإقطاعات بما يخدم ويعزز قوة الملك، في مقابل تقلدهم لبعض المناصب العليا في الدولة.

أما على الصعيد المالي، فقد أقرضت الكنيسة من أموالها للأفراد والهيئات في أوقات الشدّة، وكان أكثر من يقترضون المال هم القرويون الذين يرغبون في إصلاح قراهم، وكانت الكنائس والأديرة بمثابة مصارف عقارية. ومنذ سنة ١٠٧٠م، كانت الكنيسة تقرض المال للملاك المجاورين لها نظير حصة من ريع أملاكهم.

تاريخ العصور الوسطى

مدرس المادة: محمد مجيد / قسم التاريخ / كلية التربية للعلوم الانسانية / جامعة الحمدانية

عنوان المحاضرة

نشأة الدولة القومية في اوروبا